ISSN: 2709-5312

المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية

Arab Journal for Humanities and Social Sciences

العدد السابع والثلاثون / حزيران _ 2026

مجلة علمية عالمية محكمة ربع سنوية
تصدر عن مركز السنبلة للبحوث والدراسات
عمان - المملكة الأردنية الهاشمية
البريد الإلكتروني للمجلة
.editor@arabjhs.com
الموقع الإلكتروني للمجلة
Www.arabjhs.com
issn 2709_ 5312
IMPACT FACTOR ISI 2.228

المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

من نحن

المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية مجلة علمية الكترونية محكمة ، ربع سنوية، تصدر عن مركز السنبلة للبحوث والدراسات، عمان - الأردن ، تعنى بنشر البحوث والدراسات ، وملخصات رسائل الماجستير والدكتوراه ، ونشر فصول من الرسائل العلمية ، ومراجعة الكتب ، ونشر التقارير والندوات والمؤتمرات العلمية ، والحوارات واللقاءات العلمية في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية بجميع فروعها : التاريخ ، والتربية ، وعلم الاجتماع ، والفلسفة ، والأديان ، وعلم النفس ، والقانون والعلوم السياسية ، والعلوم الادارية ، والتنمية البشرية ، وعلم الجريمة ، وعلم الانثربولوجيا، اللغة العربية وآدابها ،الجغرافيا الآثار، الإعلام والصحافة ،المكتبات والمعلومات.

الأهداف

تسعى المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية لتحقيق الأهداف التالية:

- نشر البحوث المبتكرة التي يقدمها الباحثون في المجالات العلمية المتعلقة بالآداب والعلوم الإنسانية ،وذلك بعد عرضها على المقوّمين العلميّين.
- نشر تقارير الندوات والمؤتمرات العلمية بالجامعات العربية ، والمعاهد العلمية ، ومراكز البحوث.
- توثيق ونشر الثقافة العلمية بين الباحثين، والتواصل العلمي فى مختلف مجالات العلوم الانسانية والاجتماعية.
- التعاون العلمي بين المجلة والباحثين والعلماء العرب في مجالات تخصّص المجلة.
- تشجيع الباحثين العرب على إنجاز بحوثهم المبتكرة.
- التميز في تقديم البحوث ذات الأفكار المبتكرة و التى لم يسبق نشرها بمجلات علمية أخرى والمحكمة بواسطة نخبة من العلماء والمتخصصين ،والإسهام في إخراج بحوث علمية متميزة , من خلال الالتزام بالمعايير العالمية للتميز في مجالات البحث العلمي.
- ضبط أمور البحث العلميّ ،بعرض البحوث المقدّمة إلى المجلة على المختصين والخبراء والتطوير المستمر فى أساليب النشر والتحكيم.
- الإسهام في إثراء البحث العلمي والمناهج العلمية و التزام معاييرها، ونشر المعرفة في مجال الآداب والعلوم الإنسانية ،وتعميمها في الوطن العربي خدمةً للمجتمع العربي وتقدّمه.
- نشر البحوث وأخبار المؤتمرات والندوات والمراجعات وملخصات الرسائل الجامعية، وفصول من الرسائل العلمية للتعريف بقيمتها العلمية.
- تعميم الفائدة المرجوّة من نشر البحوث والدراسات، بوضع أعداد المجلّة بين أيدي القراء والباحثين على موقع المجلة في شبكة(الإنترنت)وتطوير الموقع وتحديثه.

خطوات النشر :

-يقوم الباحث بتنسيق البحث حسب شروط المجلة المذكورة أدناه.

-يقوم الباحث بإرسال البحث المنسق على شكل ملف مايكروسوفت وورد، إلى البريد الإلكتروني :
editor@arabjhs.com

-يجب أن يكون البحث مكتوباً بلغة سليمة،

-يجب أن تكون المادة المرسلة للنشر أصيلة ولم ترسل للنشر في أي جهة أخرى.

-يلتزم الباحث بالأصول العلمية المتعارف عليها في إعداد وكتابة البحوث.

-يجب إثبات مصادر المعلومات وتوثيق الاقتباس واحترام الأمانة العلمية في الإحالات والمراجع والمصادر.

–يتمّ تقويم البحث من محكّمين.

–يتم إبلاغ الباحث بنتائج التحكيم خلال اقل من اسبوع، بالقبول أو الرفض أو إجراء التعديلات للبحث بعد التحكيم.

–يقوم الباحث بالتعديلات المطلوبة ثم يتم متابعة التعديلات من قيل لجان التحكيم . يتم إرسال البحث مع تقرير بقبول البحث بشكل نهائي من لجان التحكيم.

-يتم إرسال خطاب رسمي من المجلة بقبول البحث للنشر.

-يقوم الباحث بدفع رسوم النشر والتحكيم .ويرسل ذلك عبر البريد الالكتروني editor@arabjhs.com، أو الواتسب على الرقم **962790260197**

-يتم إبلاغ الباحث بإيميل رسمي بإتمام عملية النشر في حال إكمال كافة الإجراءات السابقة وإنجاز عملية النشر الفعلي في عدد المجلة .

يراعي الباحث ما يلي:

–اسم الباحث (الباحثين) ، الوصف الوظيفي ، المؤسسة التي يعمل بها ، .

–الملخّص باللغة العربية ثم الكلمات المفتاحية

–الملخّص باللغة الانجليزية ثم الكلمات المفتاحية

ترتيب المحتوى: محتوى البحث حسب شروط المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية : المقدمة ،مشكلة الدراسة ،أسئلة الدراسة ، أهمية الدراسة ، أهداف الدراسة ، مصطلحات الدراسة الإطار النظري والدراسات السابقة ، منهج الدراسة، أداة الدراسة ، نتائج الدراسة، ومناقشة النتائج ، التوصيات ،المصادر والمراجع

تنسيق البحث :يتم تنسيق الورقة على) قياس(A4 ، بحيث يكون نوع وحجم الخط وفق شروط محددة، وهي:– نوع الخط في الابحاث باللغة العربية هوSimplified Arabic ، حجم الخط 16 غامق للعنوان الرئيس، 14 غامق للعناوين الفرعية، 14 عادي لباقي النصوص وترقيم الصفحات و المسافة بين الأسطر يجب أن لا تقل عن 1.5.

–نوع الخط في الأبحاث باللغة الإنجليزية هوTimes New Roman ، حجم الخط 14 غامق للعنوان الرئيس، 12 غامق للعناوين الفرعية، 12 عادي لباقي النصوص وترقيم الصفحات و المسافة بين الأسطر يجب أن لا تقل عن 1.5.

حجم البحث والملخص :ألا يزيد عدد صفحات البحث على (30) صفحة و ذلك لكي لا يتم زيادة رسوم التحكيم. ويجب أرفاق ملخص مكون من 200 – 250 كلمة باللغتين العربية والانجليزية ، بالإضافة إلى كلمات مفتاحية لا تقل عن 6 كلمات.

التوثيق : يتم التوثيق وفقا لأسلوب الجمعية الأمريكية السيكولوجية APA)) وعلى النحو التالي داخل البحث إذا كان المرجع كتابا يكتب اسم العائلة والسنة ، مثال(السرهيد ، 2005).وإذا كان المرجع بحثا في مجلة علمية يراعى ما سبق ، أما إذا كان موقعا على الأنترنت فيكتب : اسم المؤلف ، عنوان المقال ، السنة ، الموقع ، السنة ، التاريخ ،.بالنسبة للمصادر والمراجع ، ترد المصادر العربية ، ثم المصادر الأجنبية.

الهوامش: تستخدم هوامش الصفحات السفلية لذكر أي ملاحظة، أو لتوضيح أي معلومة واردة في متن البحث، أو للتوثيق في بعض الأبحاث ولا مانع من ذلك ، وتوضع بين قوسين في أسفل الصفحة ، أو يعمل لها ملحق للهوامش توضع في نهاية البحث.

المراجع:

-ترتب أرقام المراجع في قائمة المراجع بالتسلسل، وذلك بعد مراعاة ترتيب المراجع هجائياً في القائمة حسب اسم المؤلف وفقاً للآتي:

أ. إذا كان المرجع بحثاً في دورية:

—اسم الباحث (الباحثين) بدءاً باسم العائلة،. "عنوان البحث،" اسم الدورية ، رقم المجلد، رقم العدد، ، سنة النشر.

ب.إذا كان المرجع كتاباً:

—اسم المؤلف (المؤلفين) بدءاً باسم العائلة، عنوان الكتاب ، اسم الناشر، سنة النشر.

جـ. إذا كان المرجع رسالة ماجستير أو دكتوراه:

—يكتب اسم صاحب الرسالة بدءاً باسم العائلة، "عنوان الدراسة،" يذكر رسالة ماجستير أو دكتوراه ، اسم الجامعة، السنة.

د.إذا كان المرجع نشرة أو إحصائية صادرة عن جهة رسمية:

—يكتب اسم الجهة، عنوان التقرير ، المدينة، ، سنة النشر.

هـ.إذا كان المرجع موقع الكتروني:

—يكتب اسم المؤلف، عنوان الموضوع ، سنة النشر والتاريخ ، الرابط الالكتروني.

و- وقائع المؤتمر:

—اسم الباحث (الباحثين) بدءاً باسم العائلة، عنوان الدراسة، اسم المؤتمر، رقم المجلد، سنة النشر.

رسوم النشر والتحكيم: 140 دينار أردني ،ما يعادل 200 دولار.

الهيئة الإستشارية :

أيمن سند القرالة -الاردن - جامعة الاسراء الاردنية - عميد كلية العلوم التربوية - دكتوراه في الادب الانجليزي - جامعة ماكويري – استراليا

عارف محمد السرهيد -الاردن - أكاديمية الامير الحسين بن عبدالله الثاني للحماية المدنية - دكتوراه في أصول التربية - جامعة عمان العربية للدراسات العليا

محمود جمال السلخي -الاردن - جامعة البتراء الاردنية - دكتوراه في أساليب ومناهج تدريس التربية الاسلامية - جامعة عمان العربية للدراسات العليا

محمد علي فالح الجبور -الاردن - محاضر غير متفرغ - الجامعات الاردنية - دكتوراه في القانون التجاري - جامعة عين شمس - مصر

خلدون خليل الحباشنة -الاردن - جامعة الزيتونة الاردنية - عميد شؤون الطلبة - دكتوراه في التاريخ الاسلامي - الجامعة الاردنية

عوده الغيالين -الاردن - محاضر غير متفرغ - الجامعات الاردنية - دكتوراه في اللغة العربية (الادب العباسي) - جامعة العلوم الاسلامية العالمية

تغريد أبو حمدان -الاردن - جامعة البتراء الاردنية - دكتوراه في تربية الطفل وتطوير مناهج وبرامج تربوية للطفل - جامعة ساسكس - بريطانيا

محمد عودة الحماد -منيسوتا - الجامعة الاسلامية - دكتوراه في مناهج وطرق تدريس الرياضيات - جامعة العلوم الاسلامية العالمية

خولة يوسف الحمدان -الاردن - وزارة التربية والتعليم - الدبلوم العالي في الدراسات التربوية - الادارة المدرسية - الجامعة الاردنية

خالدة محمد الجبور -الاردن - وزارة التربية والتعليم - دبلوم الادارة المدرسية التقنية الحديثة - الكادر العربي لتطوير وتحديث التعليم

عارف محمد السرهيد الجهني -الاردن - رئيس التحرير - هاتف (0223366770) - ايميل(editor@arabjhs.com)

أحمد محمد مفلح -الاردن - سكرتير التحرير - الهاتف (690962092169) - الواتساب (690962092169) - البريد الالكتروني(ahmed@arabjhs.com)

الطاهر حاج النور -السودان - دكتوراه في التاريخ - كلية التربية - جامعة زالنجي

علاء الدين أحمد محمد علي -السودان - دكتوراه في المحاسبة - جامعة كردفان

عبدالكريم سرحان -فلسطين - دكتوراه في الإعلام والاتصال - جامعة النجاح الوطنية

عوض عبدالجليل أبو بكر محمد -السعودية - دكتوراه في التاريخ الإسلامي والحضارة - وحدة المخطوطات - عمادة المكتبات

صالح بن عبد المحسن الشمري -السعودية - دكتوراة في الاستشعار عن بعد - جامعة دندي - سكوتلاند - المملكة المتحدة

د. سائر بن عبد الله رجاء الله الحيسوني -السعودية - كليات عنيزة - المملكة العربية السعودية

د. احلام علي عبد المجيد -لبنان - دكتوراه في الأدب العربي - جامعة الجنان - طرابلس

الدكتور عادل أحمد ملحم -لبنان - دكتوراه في فلسفة التاريخ - التاريخ الإسلامي الوسيط

الدكتور حسين حسن الدهيبي -بيروت - لبنان - دكتوراه في التاريخ

الرسوم

رسوم النشر والتحكيم والدفع

تسعى المجلة العربية للعلوم الانسانية والاجتماعية بنشر الأبحاث العلمية وتطوير البحث العلمي في الوطن العربي ، وتطلب المجلة رسوم رمزية مقدارها 140 دينار أردني أو ما يعادل 200 دولار لنشر البحوث المكونة من 25 – 30 صفحة بحد أقصى ويتم إضافة رسوم في حال زيادة عدد الصفحات عن 30 صفحة.

التحويل البنكي:

يمكنك تحويل رسوم النشر من خلال البيانات البنكية التالية:

من خارج الاردن :

Jo 38 JIBA 0580000325999411400002

البنك الاسلامي الاردني / فرع سحاب

ومن داخل الاردن:

0325999411400002

عارف محمد مفلح السرهيد

المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

اعتمادات المجلة :

دار المنظومة الرواد في قواعد المعلومات العربية	
isi: منظمة ISI Indexing للأرشفة الدولية	
E-marfa : معرفة : قاعدة البيانات العربية الرقمية	
شمعة : قاعدة المعلومات العربية التربوية	
ISSN : منظمة الترقيم للمجلات الدولية المحكمة	
ESJI Eurasian Scientific Journal Index	
RESEARCHBIB ACADEMIC RESOURCE INDEX	
ADVANCED SCIENCE INDEX	
CITE FACTOR Academic Scientic journal	
DRJI Directory of Research Journal Indexing	
HUMANINDEX قاعدة	
Crossref قاعدة بيانات	
EBSCO قاعدة بيانات ابسكو العالمية	

المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

Impact factor isi2.228

DOI: 10.59735

المجلّة العربية للعلوم الإنسانيّة والإجتماعيّة

مجلّة عربيّة محكّمة وفقاً لتصنيف قاعدة البيانات EBSCO

العدد السابع والثلاثون/ حزيران 2026

عوامل نجاح المقاومة العمانية للوجود البرتغالي في عهد اليعاربة (خلال القرن 11هـ / 17م)

د. إبراهيم بن يوسف بن سيف الأغبري

كلية العلوم الشرعية- مسقط- سلطنة عمان

ialagbri@css.edu.om

الملخص:

يتناول البحث عوامل نجاح المقاومة العُمانية للاحتلال البرتغالي في عهد اليعاربة، وهي المرحلة التي شهدت تحولاً مهماً في تاريخ عُمان السياسي والعسكري خلال القرن السابع عشر الميلادي، ويهدف البحث إلى إبراز العوامل التي أسهمت في تمكين العُمانيين من إنهاء الوجود البرتغالي في البلاد واستعادة سيادتهم على السواحل والموانئ، وتنبع أهمية البحث من كونه يسهم في إبراز دور أئمة اليعاربة في توحيد البلاد وبناء مؤسسات الدولة وتعزيز قوتها البحرية في مواجهة الاحتلال البرتغالي، كما يسلط الضوء على تجربة تاريخية تمثل نموذجاً ناجحاً للتكامل بين القيادة السياسية والوحدة الوطنية في تحقيق الاستقلال وصيانة السيادة العمانية، وتنطلق إشكالية هذا البحث من التساؤل الرئيس: ما العوامل التي أسهمت في نجاح المقاومة العُمانية للبرتغاليين في عهد اليعاربة، وكيف انعكست هذه العوامل على تحقيق التحرير وبناء القوة العُمانية في المنطقة؟ وقد اعتمد البحث على المنهج التاريخي، من خلال تتبع أحداث المقاومة العُمانية للبرتغاليين في عهد اليعاربة، ورصد تطورها في سياقها الزمن، وعلى المنهج التحليلي لتحليل العوامل التي وقفت وراء نجاح المقاومة العمانية، وجاء البحث مقسماً إلى ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول جهود العلماء في دعم المقاومة، والمبحث الثاني عن الوحدة الداخلية ودورها في تهيئة المجتمع للمقاومة، أما المبحث الثالث فقد خُصِّص لدراسة جهود اليعاربة في بناء القوة العسكرية لتحقيق أهداف المقاومة، وخلص البحث إلى مجموعة نتائج منها، أن العلماء العُمانيين قاموا بدور محوري في نجاح المقاومة ضد البرتغاليين من خلال توحيد الصفوف، وترسيخ الوعي الديني والوطني، ودعم مشروع الدولة اليعربية، وأن التكامل بين القيادة والعلماء وأفراد المجتمع أسهم في تعزيز فعالية المقاومة وتحقيق أهدافها، مما مكّنها من مواجهة البرتغاليين ومنافستهم في البحار.

الكلمات المفتاحية:

المقاومة – أئمة اليعاربة – الاحتلال البرتغالي – العلماء – الوحدة – القوة العسكرية

Abstract

This study examines the factors that contributed to the success of the Omani resistance against the Portuguese occupation during the Yaʿrubi era, a period that witnessed a significant transformation in Oman's political and military history during the seventeenth century. The study aims to identify the factors that enabled the Omanis to eliminate the Portuguese presence in the country and restore their sovereignty over coastal areas and ports. Its significance lies in highlighting the role of the Yaʿrubi Imams in unifying the country, establishing state institutions, and strengthening naval power in confronting Portuguese domination, while also shedding light on a historical experience that represents a successful model of integration between political leadership and national unity in achieving independence and safeguarding Omani sovereignty. The research addresses the following central question: What factors contributed to the success of the Omani resistance against the Portuguese during the Yaʿrubi era, and how did these factors facilitate liberation and the emergence of Omani power in the region? The study employs both the historical method, through tracing the events of the Omani resistance and examining their development within their chronological context, and the analytical method to investigate the factors underlying its success. The study is divided into three sections: the first examines the efforts of religious scholars in supporting the resistance, the second explores the role of internal unity in preparing Omani society for resistance, and the third analyzes the Yaʿrubi efforts to build military power in pursuit of the resistance's objectives. The study concludes that Omani scholars played a pivotal role in the success of the resistance against the Portuguese by unifying the population, promoting religious and national

ISSN: 2709-5312

consciousness, and supporting the Yaʿrubi state project. Furthermore, the integration of leadership, scholars, and members of society significantly enhanced the effectiveness of the resistance and contributed to the achievement of its objectives, enabling the Omanis to confront the Portuguese successfully and compete with them in maritime affairs.

Keywords: Omani Resistance; Yaʿrubi Imams; Portuguese Occupation; Religious Scholars; Internal Unity; Military Power.

المقدمة:

تُعدّ المقاومة العُمانية للوجود البرتغالي خلال عهد دولة اليعاربة من أبرز صفحات التاريخ العُماني والإسلامي في العصر الحديث، إذ تمكن العُمانيون من إنهاء الاحتلال البرتغالي لسواحل عُمان وإعادة بناء قوتهم البحرية، ثم نقل المواجهة إلى مناطق النفوذ البرتغالي في الخليج والمحيط الهندي وشرق أفريقيا، ولم يكن هذا النجاح وليد عامل واحد، بل نتاج مجموعة من العوامل السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والدينية المتكاملة.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الكشف عن العوامل السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية التي أسهمت في نجاح المقاومة العُمانية، وإبراز دور أئمة اليعاربة في توحيد البلاد وقيادة حركة التحرير ضد البرتغاليين، وتوضيح دور المجتمع العُماني بمختلف فئاته في دعم جهود المقاومة وتحقيق أهدافها.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث في كونه يتناول إحدى المحطات المفصلية في التاريخ العُماني، وهي المقاومة العُمانية للبرتغاليين في عهد اليعاربة، التي أسهمت في تحرير البلاد واستعادة سيادتها البحرية، كما تبرز أهمية البحث في إلقاء الضوء على العوامل السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية التي وقفت وراء نجاح هذه المقاومة، بما يسهم في فهم أعمق للتجربة العُمانية في مواجهة الاحتلال، كما تتجلى أهمية البحث في إبراز دور أئمة اليعاربة في توحيد البلاد وبناء مؤسسات الدولة وتعزيز قوتها البحرية، الأمر الذي مكّن عُمان من التحول إلى قوة إقليمية مؤثرة في الخليج العربي والمحيط الهندي، كما يسهم البحث في الكشف عن دور المجتمع العُماني بمختلف فئاته في دعم جهود المقاومة وتحقيق أهدافها.

إشكالية البحث:

تنطلق إشكالية هذا البحث من مجموعة من الأسئلة:

ما العوامل التي أسهمت في نجاح المقاومة العُمانية للبرتغاليين في عهد اليعاربة؟ وكيف انعكست هذه العوامل على تحقيق التحرير وبناء القوة العُمانية في المنطقة؟ وما دور المجتمع العُماني في دعم جهود المقاومة وتحقيق أهدافها؟ وكيف أسهمت القوة البحرية العُمانية في مواجهة النفوذ البرتغالي وإضعافه؟

منهجية البحث:

اعتمد البحث على المنهج التاريخي بوصفه المنهج الرئيس، من خلال تتبع أحداث المقاومة العُمانية للبرتغاليين في عهد اليعاربة، ورصد تطورها في سياقها الزمني، والوقوف على أبرز المحطات والأحداث التي أسهمت في تحقيق أهدافها، كما استعان البحث بـالمنهج التحليلي، وذلك لتحليل العوامل السياسية والدينية والعسكرية

والاقتصادية والاجتماعية التي وقفت وراء نجاح المقاومة، وبيان أثرها في تحرير عُمان من الوجود البرتغالي وتعزيز مكانتها الإقليمية.

الدراسات السابقة:

- العرب والبرتغال في التاريخ (93 هـ إلى 1134 هـ، 711 م إلى 1720 م) لفالح حنظل.

تتناول هذه الدراسة العلاقات التي نشأت بين الطرفين منذ بدايات التوسع البرتغالي في المحيط الهندي والخليج العربي، وما نتج عن ذلك من صراعات سياسية وعسكرية واقتصادية، مع التركيز على جهود العرب في مقاومة الوجود البرتغالي وآثار تلك المواجهات في تشكيل الأوضاع السياسية والحضارية في المنطقة، وجاء الدور العماني كغيره من الأدوار في المقاومة، مما يجعل هذا البحث أكثر تخصصًا في تناول الدور العُماني في مقاومة البرتغاليين، وإبراز خصوصيته ضمن سياق المقاومة العربية للوجود البرتغالي.

- دولة اليعاربة في عمان وشرقي أفريقيا في الفترة من 1624 – 1741م، لعائشة على السيار.

تناولت دراسة دولة اليعاربة في عُمان وشرقي أفريقيا مختلف الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية للدولة، مع إبراز دورها في تحرير السواحل العُمانية وامتداد نفوذها إلى شرقي أفريقيا، إلا أنها لم تتناول الموضوع محل البحث بصورة مباشرة، مما يبرز خصوصية هذه البحث وتميزه.

خطة البحث:

يتألف البحث من ثلاثة مباحث رئيسة؛ يتناول المبحث الأول جهود العلماء في دعم المقاومة، ويعالج المبحث الثاني الوحدة الداخلية ودورها في تهيئة المجتمع للمقاومة، في حين خُصِّص المبحث الثالث لبحث جهود اليعاربة في بناء القوة العسكرية لتحقيق أهداف المقاومة، ثم خُتم البحث بأهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها البحث.

المبحث الأول: جهود العلماء في دعم المقاومة.

إن نجاح المقاومة العُمانية ضد البرتغاليين في زمن اليعاربة (القرن 11هـ/17م) لم يكن حدثًا عابرًا، بل نتاج منظومة متكاملة من العوامل السياسية والعسكرية والاجتماعية والحضارية، ساهمت جميعها في تنفيذ مشروع المقاومة، وتعد جهود العلماء من أبرز تلك العوامل، ذلك أن دور العلماء في تاريخ عُمان يشكل ركيزةً أساسية في بناء المجتمع والدولة، إذ تجاوز دورهم حدود التعليم الديني إلى الإسهام الفاعل في توجيه الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية، فقد أسهموا في ترسيخ نظام الإمامة وإضفاء الشرعية عليه، ومارسوا دور الرقابة والنصح للحكام، بما حقق قدرًا من التوازن بين السلطة والمرجعية الشرعية، كما اضطلعوا بمهمة حفظ الهوية الدينية وتعزيز القيم الأخلاقية، وأسهموا في توحيد المجتمع واحتواء النزاعات الداخلية، وإلى جانب ذلك فقد كان للعلماء دور مهم في مقاومة التدخلات الأجنبية، من خلال التعبئة الفكرية والشرعية، وتوثيق الأحداث في مؤلفاتهم، مما جعلهم قوة فاعلة في صناعة الوعي التاريخي والحضاري العُماني عبر العصور.

وفي عهد اليعاربة شهدت عمان بروز عدد كبير من العلماء ساهموا في مواجهة الاحتلال البرتغالي، حيث تقدر المصادر العمانية عددهم حينئذ بأربعين عالماً أو يزيدون[1]، وقد جاءت مجهودات العلماء في سبيل تنفيذ مشروع المقاومة عبر مسارات متعددة، منها:

أولاً: إقامة الإمامة الشرعية.

يرى الإباضية أن الإمامة ضرورة شرعية وتنظيمية لا يستقيم أمر الدين والدنيا إلا بها، لما تحققه من إقامة العدل، وتنفيذ الأحكام، وحماية الجماعة، وهو تصور يوازن بين البعد الديني وواقع الأمة، من أجل ذلك اعتنى فقهاء الإباضية بتحديد شروط الإمام، مثل: العدالة، والعلم، والكفاءة، والقدرة على القيام بأعباء الحكم، دون اشتراط النسب، مما يعكس رؤية عملية تقوم على الاختيار والكفاءة لا العصبية، وعلى الاختيار الحر والبيعة من أهل الحل والعقد، لا على الوراثة أو التغلب، وعدّوا ذلك ضمانةً لمنع الاستبداد وصون حقوق الأمة، ولم تبقَ هذه المبادئ في إطارها النظري، بل تجسدت عمليًا في التاريخ العماني، حيث اضطلع العلماء الإباضية بدور رئيس في إقامة الإمامات المتعاقبة، ومنها الإمامة اليعربية، التي قامت على أساس شرعي واضح وقادت مشروع الوحدة والمقاومة.

وقد سبقت إمامة اليعاربة في عُمان عدة إمامات، تختلف في قوتها واستقرارها تبعًا للظروف السياسية والاجتماعية والعسكرية التي مرّت بها البلاد، إذ حرص العلماء من خلالها إلى حفظ الأمن ونشر العدل، وذلك بإقامة الأحكام الشرعية، منهم الإمام سعيد بن عبد الله الرحيلي، بويع عام 320هـ، وبويع الإمام الخليل بن شاذان بالإمامة عام 407هـ[2]، وامتدت الإمامة دون توقف، ففي عام 885 هـ بويع الإمام عمر بن الخطاب الخروصي[3]، وغيرها من الإمامات التي تعاقبت على عمان، والساعية إلى إعادة الاستقرار في الداخل، بيد أن مجهودات العلماء والأئمة لم تنجح في توجيه المجتمع، لا سيما مع قيام دولة النباهنة، حيث تراجعت مؤسسة الإمامة لصالح الحكم الوراثي، وازداد التفكك السياسي والصراع الداخلي، وتدهورت الأوضاع الاقتصادية مما أضعف البلاد، فمهّد هذا الضعف لوقوع عُمان تحت الاحتلال البرتغالي الذي امتد إلى كافة السواحل العمانية.

وفي ظل هذه التداعيات التي شهدتها عمان، غدت الإمامة ضعيفة محدودة التأثير، فتهيأت بذلك الظروف السياسية والاجتماعية، بدفع من العلماء، لظهور إمامة اليعاربة بوصفها مشروعًا إصلاحيًا أعاد الاعتبار لمؤسسة الإمامة ووحّد الداخل العُماني ومهّد لمرحلة جديدة من الاستقرار الداخلي والمقاومة في الساحل العماني.

---

[1] السالمي. عبد الله بن حميد. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. مكتبة الاستقامة. سلطنة عمان 1417هـ – 1997م. ج2. ص 3. وانظر السيابي. سالم بن حمود. عمان عبر التاريخ. وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان. الطبعة الثانية. 1407 هـ - 1986 م. ج 3. ص 181. الحارثي. سالم بن حمد ابن سليمان. العقود الفضية في أصول الاباضية 1403 هـ - 1983 م. ص 26.

[2] السيابي. عمان عبر التاريخ. ج2. ص 233-240، ج3. ص6-11.

[3] . الهاشمي. سعيد بن محمد بن سعيد. دراسات في التاريخ العماني. دار الفرقد. دمشق. النادي الثقافي -مسقط. الطبعة الثانية 1434هـ - 2013م. ص204

هكذا انطلق مشروع الإمامة استجابةً لأزمة شاملة عاشها المجتمع العُماني في مطلع القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، حيث تداخل الاحتلال البرتغالي للسواحل مع تفكك السلطة الداخلية وغياب إمام جامع قادر على توحيد البلاد، ويهدف هذا المشروع إلى إحياء مبدأ الاختيار والشورى الذي يمثّل الأساس الشرعي للفكر السياسي الإباضي، حيث اجتمع أهل الحل والعقد من العلماء ووجهاء القبائل، تحت زعامة الشيخ الفقيه خميس بن سعيد الشقصي، وهو يمثل المرجعية الدينية لعمان آنئذ، وبايعوا الإمام ناصر بن مرشد اليعربي إمامًا على عُمان عام 1034هـ/1624م في مدينة الرستاق[1] ، وجاء اختياره بوصفه شخصية جمعت بين الكفاءة السياسية والقبول الاجتماعي والشرعية الدينية، وقد مثّل العلماء في هذه المرحلة قوة فاعلة في توجيه الرأي العام، ومنحوا الإمامة بعدها الإصلاحي والشرعي، وأسهموا في إعادة سلطة الإمامة الشرعية وبسط نفوذها في أرض عمان.

ثانياً: نشر العلم.

لقد اعتنى العلماء بنشر العلم عنايةً واضحة، وجعلوه ركيزةً أساسية في مشروع الإمامة، إدراكًا منهم أن ترسيخ نظام الإمامة في الدولة لا يقوم إلا بالعلم الشرعي، إذ يُعد العلم شرطًا جوهريًا في الإمام، يضمن سلامة فهمه لأحكام الشريعة وقدرته على تطبيقها، فبالعلم تتحقق البيعة على أساس شرعي، لا على مجرد الغلبة أو العصبية، ويمكّن العلم الشرعي الإمام من إقامة العدل، والفصل في الخصومات، وتنظيم شؤون القضاء، ومنع الظلم والتعدي، فالحكم بلا علم يؤدي إلى الانحراف والاستبداد، بينما يضمن العلم التزام السلطة بحدود الشرع ومقاصده، إذ لا تنفصل السياسة في نظام الإمامة عن الشريعة، فهو الأداة التي تضبط هذا التلازم، فمن خلاله تُراعى مقاصد حفظ الدين والنفس والمال والعقل والنسل، وتُتخذ القرارات السياسية والعسكرية والاقتصادية في إطار أخلاقي مشروع.

وقد بدأت عناية العلماء بنشر العلم في عهد اليعاربة منذ اللحظات الأولى لقيام الإمامة، بوصفها امتدادًا طبيعيًا للمشروع الديني والسياسي الذي قامت عليه الدولة، إذ لم يكن قيام إمامة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي إلا نتيجة حراك علمي–ديني قاده العلماء لإعادة توحيد البلاد وضبطها بالشرع، فكان نشر العلم ضرورة لحماية شرعية الإمامة وترسيخها في المجتمع، ثم سعى العلماء إلى تعميم المعرفة الشرعية لضبط العلاقات الاجتماعية، وتنظيم القضاء، ومحاربة الممارسات المخالفة، مما جعل التعليم جزءًا من مشروع الإصلاح الشامل.

وجاءت عناية العلماء بنشر العلم متنوعة المجالات، فلم تقتصر على جانب واحد، لتشكل بذلك منظومة علمية متكاملة، ارتبطت بدايتها بقيام الدولة الجديدة، إذ بادر العلماء إلى إحياء حلقات العلم في المساجد، ولا سيما في نزوى والرستاق وبهلا، لتعليم الفقه وأصول الدين والقضاء، باعتبارها أساس إصلاح المجتمع، ثم انتشرت المدارس الفقهية في مناطق عمان وشملت كافة الأنحاء، ومن أبرزها مدرسة الإمام بلعرب بن سلطان (1090 – 1104هـ) التي افتتحها في حصن جبرين، وتخرج منها خمسون عالماً كلهم أهل اجتهاد وأهل

[1] السالمي. تحفة الأعيان. ج2. ص3-23. المعولي. قصص وأخبار جرت في عمان. ص208-234.

إفتاء بالرأي[1]، وغيرهم من الذين حملوا لواء العلم في الدولة اليعربية، وساهموا بدور أساسي وفعال في مشروع المقاومة، نظراً لكثرة العلماء الذين برزوا خلال العهد اليعربي، فقد احتوى الجزء الثالث من كتاب إتحاف الأعيان على تراجم ل (241) شخصية من أعلام عمان، ظهروا خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، الموافق القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد، وهي الفترة التي استغرقتها دولة اليعاربة (1034هـ/1624م – 1162هـ/1749م)[2].

ثالثاً : توسع التأليف والتوثيق وإصدار الفتاوى.

اعتنى علماء اليعاربة عنايةً كبيرة بالتأليف، وكان ذلك أحد المرتكزات الأساسية لمشروعهم العلمي والديني، إذ نظروا إليه على أنه وسيلة لحفظ العلم ونقله، وخدمة الدين والمجتمع، لا مجرد جهد فردي، فارتبطت بذلك الكتابة العلمية بوظيفة العالم في التوجيه، والإفتاء، وبناء الوعي الديني، استجابةً لقضايا العصر، مثل مقاومة الاحتلال البرتغالي، وتنظيم شؤون الدولة، وتقوية وحدة المجتمع، مما جعل التأليف أداة إصلاح وتوجيه عملي.

لهذا شهد العصر اليعربي وفرة ملحوظة في عدد المؤلفات والرسائل والفتاوى المدونة، حتى أصبح التأليف سمة ملازمة للعالم، لا يُعدّ مكتمل المكانة العلمية إلا به، مما يدل على رسوخ ثقافة الكتابة والتدوين لدى العلماء في العهد اليعربي، ومن أبرز المؤلفات كتاب "منهج الطالبين وبلاغ الراغبين" لمؤلفه الشيخ خميس بن سعيد الشقصي، ويتألف من أربعة وعشرين جزءاً، وكتاب " جواهر الآثار ومنهج الأبرار والحجة على الفجار" ألفه الشيخ جمعة بن علي بن سالم الصائغي، وهو من علماء القرن الثاني عشر، ويقع الكتاب في أربعة عشر جزءاً، وكتاب " خزانة الأخيار في بيوعات الخيار " للشيخ عبدالله بن محمد بن غسان النزوي، من علماء القرن الحادي عشر، وجاء الكتاب في ثلاثة أجزاء، وكتاب " فواكه العلوم في طاعة الحي القيوم " للشيخ عبدالله بن محمد بن عامر النزوي، من علماء القرن الحادي عشر، ويتألف الكتاب من جزئين[3]. وغيرها كثير، مما يعكس جهود العلماء الضخمة والمتواصلة، بما ينسجم مع حاجة الأمة في إطار حركة المقاومة.

ذلك أن المؤلفات العُمانية زمن اليعاربة تناولت فتاوى الجهاد تناولًا واضحًا ومباشرًا، ولم تكن هذه الفتاوى عرضية، بل شكّلت جزءًا من البناء الفقهي والفكري الداعم لمشروع الإمامة والمقاومة، فقد عالجت كتب النوازل والفتاوى وقائع فعلية مرتبطة بمواجهة البرتغاليين، إذ تناولت المؤلفات الحث على الجهاد بوضوح، وارتبط ارتباطًا وثيقًا بواقع المواجهة وبمشروع الإمامة اليعربية، فكتاب منهج الطالبين أفرد قسماً خاصاً عن الإمامة، ذكر فيه حكم الإمامة وشروطها، وصفة الإمام وشروط مبايعته وما يجب عليه للأمة، وبين فيه ما يجب على الأمة تجاه الإمام العادل، فمما قاله : " وطاعة الإمام واجبة على رعيته، الذين بلغت إليهم قدرته وأحكامه وحمايته، وما استقام على الحق.. إلى أن قال محرضاً على القتال: لأن الإمام إذا ثبتت

[1] السالمي. تحفة الأعيان. ج2. ص85.
[2] البطاشي. سيف بن حمود بن حامد. إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان. رتبه وعلق عليه سعيد الهاشمي. مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشئون الدينية والتاريخية. الطبعة الأولى 1422هـ/2001م. ج3. ص12.
[3] السالمي. نور الدين عبد الله بن حميد السالمي. اللمعة المرضية من أشعة الإباضية. اعتنى به سلطان الشيباني. ذاكرة عمان. مكتبة مسقط. الطبعة الأولى1435هـ/2014م. ص76. البطاشي. إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان. ج3. ص91، ص 149، 377.

إمامته وقام بالحق، وجب على الرعية إجابته، إذا دعاهم، ونصرته إذا استنصرهم، ومعونته إذا استعان بهم "[1]، كما أفرد قسماً في الجهاد، بين فيه معاني الجهاد وأحكامه، وذكر فضل الجهاد والمجاهدين والمرابطين في سبيل الله والشهداء وفضلهم[2].

وجاءت المنثورة الثالثة والعشرين من كتاب فواكه العلوم في طاعة الحي القيوم للشيخ عبد الله بن محمد النزوي مشتملة على أحكام الإمامة والولاة وما يتعلق بهما، وفي الجهاد في سبيل الله، فمما قاله في الحث على القتال ونصرة الإمام : " وشدوا عضد إمام قد جعله الله حجة للأ نام، ومصباحا للظلام، براهين الخير فيه معلومة ومعادن الضير منه معدومة، وهو الملك المالك البرى من المهالك، إمام المسلمين سلطان بن سيف بن مالك"[3]، وهكذا في بقية المؤلفات التي لم يخل أغلبها من الإسهام في التوجيه والحشد الشرعي والفكري للمقاومة، وشكّلت ركيزة فكرية لمواجهة الاحتلال البرتغالي وترسيخ مشروعية الدولة والإمامة.

ولم تقتصر جهود العلماء في توثيق المقاومة ضد البرتغاليين عبر الفتوى، والرسائل، وكتب الفقه، والخطاب الوعظي، فحسب، بل تجاوز ذلك إلى التوثيق التاريخي للأحداث المرتبطة بالمقاومة، فأسهموا في حفظ الذاكرة الوطنية، ووفّروا للمؤرخين مادة أصيلة لفهم طبيعة الصراع ودوافعه ونتائجه، ومن أبرز العلماء الذين قاموا بتوثيق الوقائع العسكرية منذ بداية المجابهة مع البرتغاليين، الشيخ عبدالله بن خلفان بن قيصر، من علماء القرن الحادي عشر، من خلال كتابه " سيرة الإمام ناصر بن مرشد "[4]، الذي تناول فيه حروب الإمام ناصر في إطار جهوده في تحقيق الوحدة ومقاومة الاحتلال البرتغالي.

وألف الشيخ محمد بن عامر المعولي كتابه " قصص وأخبار جرت في عمان "، وثق فيه الأحداث الجارية في دولة اليعاربة منذ قيامها وحتى نهايتها[5]، وتعرض للمقاومة العمانية للبرتغاليين، واكتسب أهمية لكون هذا التدوين صدر عن شاهد معاصر قدّم رؤية داخلية للمجتمع العُماني وهو يعيش مراحل المقاومة وآثارها.

كما لم تخل الموسوعات الفقهية من تدوين للأحداث العسكرية التي جاءت في سياق المقاومة ضد الاحتلال البرتغالي، فقد تضمنت بعض المدونات الفقهية إشارات إلى الواقع السياسي، بما يكشف عن حالة التعبئة الشرعية والفكرية التي صاحبت المقاومة، وتُظهر تفاعل الفقهاء مع معطياتها العملية، وتُكمل ما دوّنته كتب التاريخ والأخبار من سرد للوقائع والأحداث.

[1] الشقصي. خميس بن سعيد بن علي بن مسعود الرستاقي. منهج الطالبين وبلاغ الراغبين. تحقيق سالم بن حمد الحارثي. وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان. 1401هـ. ج8. ص54.

[2] الشقصي. منهج الطالبين وبلاغ الراغبين. ج8. ص87.

[3] النزوي. عبد الله بن محمد بن عامر بن محمد بن خنبش الخراسيني. فواكه العلوم في طاعة الحي القيوم. تحقيق وتعليق محمد بن صالح، مهني التيواجني. مسقط. سلطنة عمان. الطبعة الأولى 1415هـ/1994م. ج3. ص297.

[4] البطاشي. إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان. ج3. ص362-364.

[5] المعولي. محمد بن عامر بن راشد الأفوي. قصص وأخبار جرت في عمان. دراسة وتحقيق سعيد الهاشمي. وزارة التراث والثقافة. سلطنة عمان. الطبعة الثانية 1435هـ/2014م. ص225-310.

ومن أبرز المؤلفات الفقهية التي احتوت على الوقائع التاريخية، كتاب منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، إذ تتبع قيام دولة اليعاربة منذ مبايعة الإمام ناصر بن مرشد، ووصف جهوده في المقاومة حتى وفاته، ثم تعرض لخليفته الإمام سلطان بن سيف، وبين حروبه مع البرتغاليين في البحار بعد إخراجهم من مسقط آخر معاقلهم في عمان[1].

رابعاً: أدب الجهاد

لقد برز أدب الجهاد بوصفه خطابًا دينيًا-حضاريًا جامعًا، تشكّل في سياق المواجهة مع الاحتلال البرتغالي عبر الرسائل المتبادلة بين العلماء والأئمة وقادة الجهاد، وكذلك الخطب التي كانت تُلقى في المساجد، فصاغت وعيًا جماعيًا يربط بين الجهاد والطاعة الشرعية، ويؤكد وحدة الصف وشرعية الإمامة المقاومة للاحتلال، جاء في منهج الطالبين: : " فلينظر الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة لنفسه، ما هو أولى بها، فإن كل أمرئ مأمون على نفسه ودينه، وليعلم أن الموت آتيه ولا شك فيه، ولا بد منه، وإن أشرف الموت الشهادة "[2]، ووجه الشيخ النزوي رسائل إلى الأمة يحثهم فيها على الجهاد، ففما قاله : " فتاجروا في الله اخواني يرزقكم الله فضلا وربحا لا ينقطع أمده، ولا ينقضي عدده، ولا يخلف سؤدده"[3].

كما تعد الرسائل المتبادلة بين الأئمة والقادة البرتغاليين عنصرًا من عناصر الصراع التي أسهمت في تنشيط أدب الجهاد، إذ وفّرت نموذجًا للعدوان الصريح الذي واجهه العلماء والقادة بخطاب شرعي تعبوي يرسّخ مشروعية المقاومة ويؤطرها دينيًا وتاريخيًا، ومن ذلك رسالة القائد البرتغالي إلى الإمام سيف بن سلطان الأول، جاء فيها : " اعلم بأننا جنود الله مخلوقون من سخطه مسلطون على من يحل عليه غضبه، لا نرق لشاكي ولا نرحم عبرة باكي، قد نزع الله الرحمة من قلوبنا، فالويل كل الويل لمن لا يمتثل لأمرنا، قد خربنا البلاد وأهلكنا العباد وأظهرنا في الأرض الفساد، فإن أعجبكم شرطنا كان لكم ما لنا وعليكم ما علينا، وإن أنتم أبيتم وعلى بغيكم تماديتم، فالحصون منا لا تمنع، والعساكر لدينا لا ترد ولا تدفع..... فرد عليه الإمام فقال : "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[4] ، قد حصل الوقوف على هذه الكتبة الشاهرة على قولكم قد نزع الله الرحمة من قلوبكم، فهذا من أقبح عيوبكم وأشد وأشنع، وبغيتم وذكرتم أنكم كافرون، ألا لعنة الله على الكافرين، من تعلق بالأصول فلا يبالي بالفروع، ونحن المؤمنون حقاً لا يصدنا عنكم عيب ولا يدخلنا شك ولا ريب، والقرآن علينا قد نزل، فهو رحيم بنا لا يزل، وخيولنا برية وبحرية، وهممنا سامية علية، إن قتلناكم فنعم البضاعة، وإن قتلتمونا فبيننا وبين الجنة ساعة....."[5].

ولم يقتصر دور الأدب العماني في الرسائل والخطب التي تحض على الجهاد، بل تجاوز ذلك إلى الشعر، فقد ساهم الشعراء في مقاومة الاحتلال البرتغالي إسهامًا فاعلًا، بوصفهم صوت الوعي الجمعي

[1] الشقصي. منهج الطالبين وبلاغ الراغبين. ج1. ص637-638.
[2] الشقصي. منهج الطالبين وبلاغ الراغبين. ج8. ص91.
[3] النزوي. فواكه العلوم في طاعة الحي القيوم. ج3. ص297.
[4] سورة آل عمران الآية 26.
[5] السالمي. تحفة الأعيان. ج2. ص108-109.

وضمير الجماعة، إذ أدّوا دورًا تعبويًا وثقافيًا لا يقل أهمية عن الخطباء والكتاب، فكان الشعر وسيلة مباشرة لاستنهاض الهمم، فصاغ الشعراء قصائد حماسية تحثّ على الجهاد، وتستنهض الشجاعة، وتربط القتال بمعاني الإيمان والدفاع عن الدين والديار، مما أسهم في رفع الروح المعنوية لدى المقاتلين والعامة.

ومن أبرز الشعراء العمانيين الذين وظفوا ملكتهم الشعرية في الحث على الجهاد الشيخ محمد بن مسعود الصارمي من علماء القرن الحادي عشر، فقال محرضاً أفراد الجيش على القتال في فتح بته بأفريقيا الشرقية:

اصطنعوا الصبر ولا تجبنوا عند الوغى فالجبن لؤم صراح

فامتثلوا الأمر ولا قصروا وجردوا أسيافهم والرماح

فاقتحموا السور كأسد الفلا واشتدت الحرب وضرب الصفاح

كأنما القتلى بأرجائها من فيئة الإفرنج صرعى طراح

كأنهم أعجاز نخل بها منقعر من عاصفات الرياح

فانهزم الإفرنج من بتة بالذل والخزي وبالافتضاح[1]

وللشيخ خلف بن سنان الغافري من علماء القرن الحادي عشر قصائد عديدة تتناول الصراع العماني البرتغالي في البحار، وتصف الانتصارات التي يحققها العمانيون في ظل حكم أئمة اليعاربة، منها قصيدته في الثناء على الإمام سلطان بن سيف بن مالك في مواجهاته للبرتغاليين، يقول فيها:

ولم تكفه ملكاً عمان بأسرها فجرد عزماً غير نابي المناصل

فأزجى الجواري المنشآت كأنها على اليم أعلام ذوات دلائل

فدوخ أرض الهند والسند وانثنى فعل كؤوس الحتف بر السواحل

ولليمن المعروف جاشت جيوشه فآب بيمن بدره غير آفل

فشاد لأهل الدين بعد خمولهم معاقل مجد عاليات المجادل[2]

[1] البطاشي. إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان. ج3. ص477.

[2] البطاشي. سيف بن حمود بن حامد. إيقاظ الوسنان في شعر وترجمة الشيخ خلف بن سنان. مسقط. سلطنة عمان. الطبعة الأولى 1415هـ/1995م. ص87.

وغير هؤلاء كثيراً من الشعراء العمانيين الذين خلدوا بطولات المجاهدين والقادة في عهد أئمة اليعاربة، فحوّلوا الانتصارات والمعارك إلى رموز ملهمة، وأسهموا في صناعة قدوات جماعية تعزّز الالتفاف حول مشروع المقاومة.

خامساً: تولي القيادة العسكرية والإدارية

لم يقتصر دور العلماء على الإفتاء أو الوعظ والتأليف، بل كانوا جزءًا من بنية الدولة والمقاومة، ويتضح ذلك من خلال حضورهم في ميادين القتال بوصفهم محرضين ومرابطين، يثبتون المقاتلين، ويؤكدون مشروعية الجهاد ضد البرتغاليين، مما منح العمل العسكري بعدًا دينيًا وأخلاقيًا، ليس هذا فحسب، بل أنهم تولوا المناصب العسكرية العلياء في إدارة الجيوش، حيث تشير المصادر العُمانية إلى أن العلماء شاركوا فعليًا في قيادة الحملات العسكرية، لا سيما في الهجوم على البرتغاليين في مواقعهم على المدن الساحلية، فكان أول هجوم على البرتغاليين في مسقط قاده الشيخ مسعود بن رمضان النبهاني من فقهاء القرن الحادي عشر، اضطروا على إثر شدة الحصار الذي فرضه العمانيون إلى طلب الصلح ودفع الجزية[1]، وتولى الشيخ خميس ابن سعيد الشقصي قيادة الجيش الموجه إلى مسقط في الحملة الثانية، وأرغم البرتغاليين على تجديد الصلح مع إضافة بنود أخرى صاغها العمانيون[2].

وفي الحروب التي جرت في البحار الشرقية على إثر طرد البرتغاليين من السواحل العمانية تطالعنا أسماء للعلماء العمانيين تولوا قيادة الجيوش في إطار المواجهات البحرية، منهم الشيخ محمد بن مسعود الصارمي من علماء القرن الحادي عشر الذي كلفه الإمام سلطان بن سيف بن مالك تولي قيادة الجيش العماني الموجه إلى فتح بته بأفريقيا الشرقية، وقد نجح العمانيون في السيطرة عليها وتخليصها من يد الاحتلال[3].

كما كان العلماء جزءًا من الجهاز الإداري للدولة اليعربية، فقد تولوا إدارة الولايات العمانية، فكان الشيخ خلف بن أحمد بن عبدالله الرقيشي من علماء القرن الحادي عشر والياً للإمام ناصر بن مرشد على الصير، وعلى قريات وتوابعها، وتولى الشيخ خميس بن رويشد بن خميس الضنكي وهو من علماء القرن الحادي عشر حصن الغبي في عبري بمنطقة الظاهرة، وذلك بتكليف من الإمام ناصر بن مرشد بعد أن انتزعها من القبائل التي كانت تسيطر عليها[4]، أما الشيخ درويش بن جمعة بن عمر المحروقي، من فقهاء القرن الحادي عشر، فكان والياً للإمام سلطان بن سيف بن مالك[5].

وغير هؤلاء كثير تولوا أغلب المناصب داخل الدولة اليعربية، بحيث يمكن القول إن علماء اليعاربة جمعوا بين العلم والعمل، فكانوا فقهاء ومجاهدين، وإداريين وقضاة، وأسهموا في إدارة الدولة، وتوجيه الحرب،

[1] السالمي. تحفة الأعيان. ج2 ص10.
[2] المعولي. قصص وأخبار جرت في عمان. ص225. مايلز. الخليج بلدانه وقبائله. ص159-160
[3] البطاشي. إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان. ج3. ص477.
[4] البطاشي. إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان. ج3. ص116-144.
[5] السالمي. تحفة الأعيان. ج2. ص46.

وبناء الشرعية، مما جعل مشروع المقاومة العُمانية ضد البرتغاليين مشروعًا دينيًا وسياسيًا متكاملًا، لا حركة عسكرية معزولة.

المبحث الثاني: الوحدة الداخلية ودورها في تهيئة المجتمع للمقاومة.

تمثل الوحدة الداخلية في عهد اليعاربة ركيزة أساسية لمشروع المقاومة؛ إذ أنها قادرة على توفير الشرعية، والتنظيم، والاستقرار، والتعبئة، مما تعين من تحويل مقاومة محلية متفرقة إلى مشروع تحريري منظم سينجح في إنهاء الوجود البرتغالي وبناء قوة بحرية إقليمية، بيد أن تحقيق ذلك تعترضه العديد من العقبات في ظل الأوضاع المتردية التي تشهدها البلاد، حيث تعاني عمان من تصدع سياسي كبير جراء التدخلات المستمرة للقوى الخارجية، التي امتدت لفترات زمنية طويلة، بدأت بتدخل الدولة العباسية عام 280هـ، عن طريق محمد ابن بور والي البحرين في عهد المعتضد (279هـ - 289هـ)[1]، وفي عام 293هـ استولى القرامطة على توام وجلفار في الهجوم الذي قام بها أبو سعيد القرمطي[2]، كما تعرضت عمان عام 660هـ لتدخل مملكة هرمز، فقد غزا أميرها محمود بن أحمد الكوشي عمان أثناء حكم أبي المعالي كهلان بن نبهان وأخوه عمر بن نبهان، واستولى على السواحل حتى ظفار، وظلوا حتى أجلاهم البرتغاليون من المدن الساحلية، بيد أنهم تمكنوا من بسط نفوذهم إلى الداخل واحتفظوا بالسلطة فيه منذ وصولهم عام 866هـ[3].

إلى جانب ذلك قامت دولة بني جبر بالتدخل في الشأن العماني، فبعد نجاح أجود بن زامل عام 820هـ في السيطرة على الإحساء، شرع مباشرة في مد سلطته ومزاحمة الهرامزة في عمان، وفي عام 893هـ تمكن بنو جبر من دخول بهلاء وطردوا عمال سليمان بن سليمان بن مظفر، وبهذا فرضوا سلطتهم على المدن الساحلية، وامتد نفوذهم إلى المناطق الداخلية في عمان[4].

وفي الداخل شهدت عمان تحركات ساهمت في منح المشهد السياسي مزيداً من التعقيد، فقد برزت قوى من القبائل طمعت في الحكم وواجهت سلطة الإمامة، في مقدمتها أسرة النباهنة التي حكمت أجزاء من عمان، وامتد حكمها قرابة خمسة قرون أو يزيد على ذلك[5]، وكان ذلك تقريباً بين عامي (549 – 906 هـ)، أي قبيل ظهور البرتغاليين على السواحل العمانية، وهو ما مكن البرتغاليين من السيطرة على المدن الساحلية العمانية منذ وصولهم عام 1507م، مستغلين النزاعات الداخلية التي تجري بين القوى العمانية، التي لم تلتفت إلى الخطر الكبير الذي داهم بلادهم.

---

[1] ابن خلدون. عبد الرحمن بن محمد التونسي.. تاريخ ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. بيت الأفكار الدولية. ص 958. الأزكوي. كشف الغمة. ج3. ص 136.

[2] مايلز. س. ب. الخليج بلدانه وقبائله. ترجمة محمد أمين عبد الله. الطبعة الثانية 1437هـ - 2016م. ص 86- 78. الهاشمي. دراسات في التاريخ العماني. ص 137.

[3] ابن مداد. عبد الله بن مداد. سيرة ابن مداد. وزارة التراث القومي والثقافة. عمان. 1984م. العدد 56. ص 67-68، الإزكوي. سرحان بن سعيد. كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة. تحقيق محمد حبيب ومحمود السليمي. وزارة التراث والثقافة. سلطنة عمان. الطبعة الثانية 1434هـ/2013م. ج3.ص179-180.

[4] ابن مداد. سيرة ابن مداد. ص 55.

[5] مؤلف مجهول. تاريخ أهل عمان. تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان. 1400هـ/1980م. ص 97.

لقد أدخلت النزاعات التي تجري بين سلطة الإمامة والأسرة النبهانية البلاد في حالة من التمزق والتدهور، بحيث انقسمت عمان إلى حكومات صغيرة، تسعى خلالها كل حكومة لمواجهة المخاطر المحدقة بها، سواء من الداخل ممثلة في النباهنة، أو من الساحل في ظل هيمنة البرتغاليين على خطوط التجارة، ومن تلك الحكومات برزت إمارة اليعاربة التي نشأت عام 579هـ في الرستاق عن طريق الأمير محمد بن مالك[1] جراء الصراعات الداخلية، وهي الأسرة التي قدر لها أن تحمل رياح التغيير في عمان.

من أجل ذلك أيقن الإمام ناصر بن مرشد فور مبايعته بالإمامة عام 1034هـ أن الشروع في تنفيذ مشروع المقاومة يتطلب توحيد الجبهة الداخلية، وذلك من خلال دمج القبائل والمناطق في هدف واحد هو تحرير السواحل، وتحييد العصبيات لصالح الانتماء الديني والوطني، وتحويل الولاء من الانقسام المحلي إلى دولة الإمامة، واعتبر أن تعبئة الرجال للجهاد وتحقيق النصر العسكري مرهون بالاستقرار السياسي.

بدأ الإمام توحيد الجبهة الداخلية عبر مواجهة الزعامات المحلية التي كانت تتنازع النفوذ، منطلقاً من مدينة الرستاق التي اتخذها مركزاً لقيادته وقاعدة لحملاته في سبيل تحقيق الوحدة، فعمل بداية على التقارب مع القيادات القبلية، متخذاً من حسن المعاملة وكسب ثقة الناس وسيلة لدعوتها للانضمام إلى قافلة الوحدة الوطنية، حيث كان يسعى إلى استمالة القبائل بالحوار، فيبعث الرسائل إلى شيوخها يدعوهم إلى البيعة على أساس إحياء الإمامة الشرعية، وتوحيد الصف الداخلي لمواجهة الانقسام والاحتلال البرتغالي، مستعيناً في ذلك على العلماء والقيادات الاجتماعية للتأثير على القبائل الممتنعة، وكان من نتائج ذلك أن عدداً من المدن العمانية دخلت تحت إمرة الإمام وخضعت لسلطته طواعية دون قتال، ومنها :

- فتح مدينة منح

حينما علم أهل منح عن تحرك الإمام لجمع الشمل وتوحيد الكلمة، توجه الأعيان والصلحاء من أهلها إلى الإمام ناصر بن مرشد وهو في نزوى، فجاءوه يدعونه إلى إصلاح أحوالهم وتولي أمرهم، وساندوه برجالهم وأموالهم، فتوجه الإمام إليهم وتسلم مقاليد إدارة المدينة، وأظهر العدل بين الناس، وأصلح شؤون البلاد، من غير مشقة أو إنكار من أهلها، وغدت منح جزءاً من مملكته، ثم رجع عنها بعد خضوعها لطاعته[2].

- فتح سمد الشأن وإبراْ

سمد الشأن وإبراء من مدن المنطقة الشرقية، وكان ملك سمد الشأن علي بن قطن الهلالي، فلما علم بظهور الدولة بعث برجاله إلى الإمام يدعوه إلى بلاده ليتسلم أمرها، فبعث الإمام جيشاً بقيادة الشيخ الفقيه مسعود بن رمضان، فافتتح المدينة بدون عناء، ثم جاء أهل إبراء، وكان ملكها محمد بن جفير بن جبر، فبعث الإمام جيشاً لفتحها واستلام أمرها، فتم فتحها من غير مشقة، وبانضمام المدينتين تكون مناطق الشرقية قد

[1] الهاشمي. دراسات في التاريخ العماني. ص 161. السالمي. تحفة الأعيان. ج1. ص 323.
[2] ابن قيصر. عبد الله بن خلفان الصحاري. سيرة الإمام ناصر بن مرشد. تحقيق عبد المجيد القيسي. وزارة التراث والثقافة. سلطنة عمان. الطبعة الثالثة 1438هـ/2017م. ص19.

خضعت بأسرها لسلطة الإمام، ولم يتبق منها عدا مدينة صور وقريات وهي من مدن الساحل الخاضع للاحتلال البرتغالي[1].

أما بالنسبة للزعامات المناوئة للسلطة، فإن الإمام ناصر بن مرشد اليعربي قد تعامل معها بمنهج سياسي-شرعي متوازن، فلم يقم على الإقصاء المطلق ولا على التساهل المُضعِف للسلطة، بل على الاحتواء ثم الحزم عند الضرورة، فالهدف عنده كان إضعاف مراكز القوة المنافسة لا تصفية الرموز الاجتماعية، لهذا استخدم الإمام القوة العسكرية بصورة منضبطة، باعتبارها ضرورة لحماية مشروع الدولة ووسيلة لإعادة الاستقرار، مع الاحتفاظ دائما على إمكانية منح العفو للزعامات التي تعلن الطاعة، حرصاً من الإمام على عدم تفكيك البنية الاجتماعية للدولة، وهذا النهج كان من أهم عوامل نجاحه في توحيد الداخل العماني وبناء دولة قادرة على الانتقال لاحقًا إلى مشروع المقاومة والتحرير.

بدأ الإمام مشروعه في اخضاع الزعامات المحلية التي تمثل تهديدًا مباشرًا لدولته الجديدة من مركزه في الرستاق، واستهدف أولاً المناطق القريبة من مركزه، ثم انتقل تدريجيًا إلى الحسم العسكري لإسقاط مراكز المعارضة الأخرى.

- مدينة نخل.

كانت مدينة نخل الأقرب من الرستاق، وهي من مدن منطقة الباطنة، بدأ الإمام بها لقربها، وكان يحكمها حينئذ عمه سلطان بن أبي العرب، فتوجه إليها الإمام فحاصرها لمدة أيام حتى تمكن من فتحها، ثم عين عليها والياً يدير شؤونها تحت سلطة الدولة، وخلال وجوده تعرض لبعض المناوشات قام بها من بعض المناوئين، بيد أنه نجح في السيطرة عليها ومواجهة المعتدين، وثبت بذلك نفوذه، وبعد أن تم له الأمر رجع إلى قاعدته في الرستاق[2].

- مدينة نزوى.

تُعد نزوى من أهم المدن في تاريخ عُمان دينيًا وسياسيًا وحضاريًا، وتتجلى أهميتها في عدة أبعاد، فقد كانت مركزاً للعلم، وموطنًا لكبار العلماء والأئمة، كما كانت عاصمة للإمامة العُمانية في فترات متعددة، ومقرًّا لاختيار الأئمة وممارسة الشورى، مما جعلها رمزًا للشرعية السياسية، ثم غدت مركزاً للدولة اليعربية بعد الرستاق، لهذا أدرك الإمام ناصر أن نزوى تمثل قلب عُمان الديني والسياسي، وأن السيطرة عليها تعني كسب الشرعية العلمية والشعبية، وبناء عليه باشر في عملية ضمها.

بدأت عناية الإمام بمشروع فتح نزوى التي تحكمها أسرة بني بو سعيد عقب عودته من نخل، حيث وصلت إليه رسل من أهل نزوى يدعونه إلى حكمها، فخرج إليهم بجيشه، وعند وصوله استعصت عليه ولم يجد من يعينه، فرجع مسرعاً إلى الرستاق وجمع قوة كبيرة، وعاد إلى نزوى برفقة الشيخ خميس بن سعيد

[1] المعولي. قصص وأخبار جرت في عمان. ص229-230.
[2] السالمي. تحفة الأعيان. ج2. ص5.

ومن شايعهم من أهل سمائل وازكى وغيرهما، وتمكن من فتحها واستقبله أهلها بالكرامة والترحيب، بيد أن الأسرة الحاكمة من أهل منطقة العقر رفضت التسليم، وقررت مواجهة جيش الإمام، لكن محاولتهم باءت بالفشل، فأمر الإمام بالقبض عليهم ونفيهم من سائر البلاد ونهى عن قتلهم، وبذلك خلصت مدينة نزوى للإمام، فأقام فيها العدل ونشر الأمن في ربوعها[1].

- مدينة سمائل.

تقع سمائل في قلب عُمان، وتتحكم في الممر الطبيعي الذي يربط الداخل بالساحل، فتشكل بذلك نقطة ارتكاز عسكرية للإمام ناصر، كما تمثل قلبًا استراتيجيًا لمشروع التوحيد، وبوابة للسيطرة على طرق الداخل والساحل، وقاعدة حاسمة للانتقال من تثبيت الإمامة إلى مقاومة الاحتلال البرتغالي، لذلك فطن الإمام إلى أن إخضاع سمائل سوف يمكّنه من كسر نفوذ الزعامات المعارضة في الداخل، ومنعها من الاتصال بالقوى الساحلية أو الاحتماء بها.

شرع الإمام في ضم سمائل بعد أن بعث إليه ملكها مانع بن سنان العميري يدعوه مع جماعة من بني رواحة بقيادة أحمد بن سليمان الرواحي لتولي أمر سمائل، فسار إليهم الإمام في طريقه إلى نزوى ودانت له المدينة، بيد أن العميري نقض العهد، فعاد الإمام لحصاره وأرغمه على الاستسلام، فاستسلم وطلب العفو من الإمام فعفا عنه، ثم أمر الإمام ببناء حصن وجعل فيه والياً يدبر أمر سمائل، ثم عاد مانع وخرج على الإمام وتحالف مع سيف الهنائي من القوى المعارضة في بهلا وهاجموا نزوى، بيد أنهم فشلوا في مساعيهم، فسار إليه الإمام بجيش كبير وأمر بهدم حصنه، فغادر مانع المدينة والتجأ إلى البرتغاليين لحمايته مقابل التعاون معهم، وحينما علم الإمام بذلك سمح بقتله، فقتل جزاء خيانته للدين والوطن[2].

- بهلا.

تقع بهلا على مقربة من نزوى، وترتبط بمسارات مهمة في الداخل، مما جعلها قاعدة إسناد عسكرية لحماية مركز الإمامة والتحرك نحو المناطق المجاورة، كما كانت بهلا مقرًا لنفوذ زعامات محلية قوية ومعارضة لمشروع الإمامة، وإخضاعها يمثّل إنهياراً فعليًا لأحد أعمدة الانقسام السياسي، ويمهّد الطريق لإخضاع مناطق أخرى دون مقاومة كبيرة.

بدأ الإمام ضم بهلا إلى سلطته بعد أن استقر في نزوى، حيث تحرك بجيشه لانتزاعها من ملكها سيف ابن محمد الهنائي، فوقعت بينهم الحرب، وحينما أحس الهنائي بالهزيمة لجأ إلى الحصن ليحتمي به، ففرض عليه الإمام حصاراً شديداً، اضطر على أثره إلى طلب الصلح، فسلم الحصن وخرج مع رجاله وما حملته أيديهم من المال وآلة الحرب، فأخذه الإمام وجعل عليه والياً يدير من خلاله أحوال البلاد والعباد[3].

[1] ابن قيصر. سيرة الإمام ناصر بن مرشد. ص17.
[2] مؤلف مجهول. تاريخ أهل عمان. ص125-135، ابن قيصر. سيرة الإمام ناصر بن مرشد. ص19-39.
[3] السالمي. تحفة الأعيان. ج2. ص6-7.

لم يتوقف الهنائي عند هذا الحد، فقد أغراه عفو الإمام في العودة لمعارضته من جديد، فانحاز إلى منطقة بلاد سيت المتاخمة لبهلا، فاتخذها قاعدة بديلة لحرب الإمام، فاشترك بداية مع العميري وقاموا بالهجوم على الإمام في نزوى، ونتيجة لذلك وجه الإمام إليه جيشاً بقيادة الشيخ الفقيه عبدالله بن محمد بن غسان، فلما وصل الجيش إلى المدينة وعلم به الهنائي أدرك أن لا طاقة له على المواجهة، فخرج من الحصن هارباً، فأمر الوالي بهدم الحصن، ثم لجأ الهنائي إلى الإمام يطلب العفو والصفح، فعفا عنه الإمام، ودانت له جميع القبائل بالولاء والطاعة[1].

- فتح مناطق الظاهرة.

أسند الإمام مهمة فتح مناطق الظاهرة إلى الشيخ خميس بن ويشد الضنكي، بيد أن الفتح لم يتحقق، نظراً لشدة المعارضة، فجاء الشيخ إلى الإمام يطلب المساعدة، فتحرك الإمام بجيش كبير يقوده بنفسه، اتجه بداية إلى منطقة الصخبري وانضم معه أهلها، وتمكن من فتح وادي فدى، ثم توجه إلى حصن الغبي، حيث وقعت معارك عنيفة، فغادره إلى عبري كبرى المدن العمانية وسيطر عليها، ثم رجع إلى الغبي فحاصر حصنها وتمكن من الاستيلاء عليه، وجعل الشيخ خميس بن رويشد والياً عليه، وعين على منطقة بات والياً من الرستاق ومعه الشيخ محمد بن سيف الحوقاني، وكلفهم جميعاً باستكمال فتح ما تبقى من مدن الظاهرة، ورجع الإمام إلى نزوى لمتابعة أمور الدولة[2].

واصل الولاة جهودهم في فتح المدن التي لم تخضع لسلطة الإمام، وتمكنوا من السيطرة على مدينة ضنك بعد نجاحهم في القضاء على ثورة بني هلال، وأرغموا زعيمهم قطن بن قطن على تسليم الحصن، كما تمكن جيش الإمام من فتح بقية المناطق، فاستولوا على حصن مقنيات ومنطقة ينقل وغيرها، وبذلك أتم الإمام فتح منطقة الظاهر، وخضعت جميع القبائل لسلطة الإمامة اليعربية [3].

كما نجح الإمام في السيطرة على بعض المناطق المطلة على السواحل العمانية في إطار مواجهة القبائل المناوئة لسلطة الإمامة، حيث استولى جيش الإمام على مدينة لوى في منطقة الباطنة، عن طريق الشيخ عبدالله ابن محمد بن غسان النزوي[4].

وهكذا أنهى الإمام ناصر بن مرشد مرحلة توحيد الجبهة الداخلية، بعد أن نجح في إخضاع مراكز القوى المحلية، واستيعاب الزعامات القبلية، وترسيخ سلطة الإمامة على أسس دينية وسياسية جامعة، وقد عبر ابن قيصر عن مساعي الإمام ناصر في تحقيق الوحدة بقصائد متعددة تتبع فيها فتوحات الإمام فمما قاله:

به افتتحت بهلا لدى منح معاً وكان إلهي لابن مرشد ناصراً

[1] المعولي. قصص وأخبار جرت في عمان. ص236.
[2] السالمي. تحفة الأعيان. ج2. ص6، المعولي. قصص وأخبار جرت في عمان. ص230-232، ابن قيصر. سيرة الإمام ناصر بن مرشد. ص24-26.
[3] المعولي. قصص وأخبار جرت في عمان. ص230-233، السالمي. تحفة الأعيان. ج2. ص6-8.
[4] المعولي. قصص وأخبار جرت في عمان. ص237-238، ابن قيصر. سيرة الإمام ناصر بن مرشد. ص26-28

ومن بعدها إبرا وأقبل قاصداً بوادي ضنك بالجحافل حاصرا

وقدام أفدى بالجنود فسلمت لطاعته قهراً ونال مفاخرا[1]

وقد استغرق الإمام ناصر بن مرشد مدةً طويلة في تحقيق الوحدة، تتراوح بين سبع إلى ثماني سنوات، وذلك بالنظر إلى بيعة الإمام سنة ١٠٣٤هـ/١٦٢٤م، وبين فتح لو ى ،يوم الإثنين العشرين من جمادى الأخرة ١٠٤١هـ/ ١٣يناير ١٦٣٢م، بحسب البطاشي[2]، وهو ما يؤكد على وعي الإمام السياسي القائم على التدرّج، إدراكًا منه أن أي مواجهة خارجية لا يمكن أن تنجح في ظل الانقسام الداخلي، فسعى إلى إعادة بناء التماسك السياسي والاجتماعي على أسس دينية وتنظيمية، تمهيدًا للانتقال للمرحلة الثانية المتمثلة في مواجهة الوجود البرتغالي واستعادة السيادة العمانية.

المبحث الثالث: جهود اليعاربة في بناء القوة العسكرية لتحقيق أهداف المقاومة.

لقد نمت القوة العسكرية في عهد اليعاربة نموًا تدريجيًا ومنظمًا، جمع بين التنظيم العسكري، وتطوير الخبرات العسكرية، وبناء القوة البرية والبحرية، حتى تحولت إلى قوة قادرة على مجابهة البرتغاليين وإنهاء نفوذهم في عُمان، جاءت نتيجة مشروع متكامل ارتكز على عدة مسارات متوازية، يمكن بيانها على النحو الآتي:

أولاً: تشكيل القوة البرية والبحرية.

تشكّلت القوة البرية لليعاربة بصورة تدريجية ومنظّمة، جاءت نتاج مشروع سياسي-عسكري ارتبط بقيام الإمامة اليعربية وتوحيد عُمان، ذلك أن الإمام ناصر اعتمد في بداية مشروعه الرامي إلى توحيد الجبهة الداخلية على القبائل الموالية للسلطة في مواجهة الزعامات المحلية، ومع التوسع في ضم المدن العمانية تحت نفوذ الدولة، توسع حجم القوة، نظراً لانضمام أعداد كثيرة من الجنود إلى جيش الإمام، لذلك تعد مراحل مشروع الوحدة الأساس الأول لتشكّل القوة البرية في عهد الإمام ناصر بن مرشد، إذ أُخضعت الزعامات المحلية، وتوقفت الحروب الداخلية، مما أتاح توجيه القوة العسكرية نحو مشروع المقاومة.

وكان من نتائج ذلك أن استجابت القبائل العُمانية لمشروع اليعاربة العسكري استجابة فورية، وتحولت إلى مشاركة واسعة وفعّالة، بفعل نجاح القيادة، والدعم الديني، ووضوح الهدف، مما جعل القبائل عماد القوة البرية في مواجهة البرتغاليين، وقد جاءت تلك الاستجابة تلبية لدعوة الجهاد التي أطلقها أئمة اليعاربة، حيث تشير المصادر العمانية إلى انضمام القبائل العمانية منذ أول دعوة للجهاد في مسقط، وتشكلت من خلالها الحملة الأولى الموجهة لتحرير المدينة تحت قيادة الشيخ مسعود بن رمضان التي انطلقت من طوي الرولة[3].

[1] ابن قيصر. سيرة الإمام ناصر بن مرشد. ص21-22.
[2] البطاشي. إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان. ج3. ص24.
[3] السالمي. تحفة الأعيان. ج2. ص10، ابن قيصر. سيرة الإمام ناصر بن مرشد. ص40-41.

ثم تتابعت مشاركة القبائل العُمانية في الجهاد ضد الوجود البرتغالي، وأخذت في الاتساع مع توسع العمليات الهجومية على المواقع البرتغالية، ولم تقتصر المشاركة على القتال المباشر، بل شملت الإمداد، وحماية الطرق، والمساندة في الحصارات الطويلة، وقد أسهم هذا التتابع في بناء قوة برية مستمرة قادرة على الصمود واستنزاف المحتل، مما وفّر عمقًا شعبيًا وعسكريًا للمقاومة، وحال دون انقطاع الجهاد أو ارتباطه بقبائل بعينها، وهو ما شكّل أحد أبرز عوامل نجاح المشروع اليعربي في تحرير السواحل العُمانية.

فقد واصلت القبائل مشاركتها في مشروع المقاومة دون انقطاع، ما مكن القيادة من توجيه الحملات المتواصلة لتحرير المدن الساحلية، فبعد مسقط وجه الإمام ناصر قوة إلى جلفار بقيادة علي بن أحمد تمكن من انتزاعها من البرتغاليين، وبعث حملة أخرى إلى صحار تحت قيادة حافظ بن سيف، ووجه حملة ثانية للضغط على البرتغاليين في مسقط بقيادة الشيخ خميس الشقصي، وحملة أخرى إلى صور وقريات بالمنطقة الشرقية بقيادة سلطان بن سيف خليفة الإمام في الحكم[1].

ظلّ الهجوم البري العُماني قائمًا ومؤثرًا طيلة عهد الإمام ناصر بن مرشد، وبعد وفاته حافظ الإمام سلطان ابن سيف بن مالك على القوة البرية التي تأسست في عهد سلفه وطوّر أدوارها بما يتلاءم مع مرحلة التحرير النهائي، والشاهد على ذلك أن ملحمة تحرير مسقط عام 1650م تمت عن طريق الهجوم البري الذي شنه العمانيون على البرتغاليين في مسقط، وهي المعركة الحاسمة التي أنهت الوجود البرتغالي من كافة السواحل العمانية[2].

كما أولى اليعاربة عناية خاصة ببناء القوة البحرية إدراكًا منهم لأهمية البحر في مواجهة الوجود البرتغالي، ولعلمهم أن البرتغاليين امتلكوا أقوى أسطول في العالم أنئذ، مما يتطلب قوة بحرية موازية، فشرعوا فور إجلاء البرتغاليين من مدن الساحل في تعبئة البحّارة من القبائل الساحلية، وتنظيمهم ضمن وحدات خاضعة لقيادة مركزية تابعة للإمامة، وربطوا النشاط البحري بشرعية الجهاد، مستفيدين من الخبرة البحرية العُمانية المتراكمة في الملاحة والتجارة.

وقد أسفرت العناية المنهجية التي أولتها الدولة اليعربية ببناء القوة البحرية إلى نشوء جيش بحري متمرس امتلك خبرة عملية متراكمة في القتال والملاحة والحصار، وأسهم في إحداث تحول نوعي في ميزان القوة البحرية لصالح العُمانيين، فقد مكّن التدريب المستمر وتوظيف الخبرات البحرية المحلية من إعداد مقاتلين قادرين على خوض مواجهات طويلة في البحر، كما أفرز هذا الإعداد قيادات بحرية فاعلة تمتعت بالكفاءة والقدرة على التخطيط واتخاذ القرار، أمثال الشيخ محمد بن مسعود الصارمي قائد البحرية التي حررت بته، ومحمد بن مبارك والي الإمام سلطان بن سيف في ممباسة، وسالم الصارمي فاتح الصومال[3].

---

[1] ابن قيصر. سيرة الإمام ناصر بن مرشد. ص45-50، السالمي. تحفة الأعيان. ج2 ص11، مايلز. الخليج بلدانه وقبائله. ص159-160، ابن رزيق. الفتح المبين. ص242

[2] مايلز. الخليج بلدانه وقبائله. ص161. السيابي. عمان عبر التاريخ. ج3 ص236-239.

[3] المغيري. سعيد بن علي. جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان. الطبعة الثانية 1416هـ - 1986م. ص192-193، جيان. مسيو. وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن افريقيا الشرقية. كتبها عام 1856م ونقلها إلى العربية ملخصة يوسف كمال.

ثانياً: أسلوب الحصار الطويل.

لقد اعتنى اليعاربة عناية واضحة ومقصودة باستخدام أسلوب الحصار، وجعلوه أحد المرتكزات الرئيسة في استراتيجيتهم العسكرية ضد الوجود البرتغالي، ولم يكن ذلك استخدامًا ظرفيًا، بل كان نابعًا من إدراك عميق لطبيعة الصراع وإمكانات الطرفين، إذ أدركت القيادة أن التفوق البرتغالي في السلاح البحري والتحصينات لا يمكن مواجهته بالصدام المباشر، أو الاقتحام السريع، فكان الحصار وسيلة ناجعة لتقليص أثر هذا التفوق، وتحويل القوة التقنية للعدو إلى عامل إنهاك داخلي.

وجاءت البدايات الأولى لاستخدام أسلوب الحصار مبكراً، ارتبطت بانطلاق مشروع إمامة اليعاربة، وتحديدًا منذ المرحلة الأولى من حكم الإمام ناصر بن مرشد اليعربي (ت 1059هـ/1649م)، حيث استعان به الإمام في مراحل تحقيق الوحدة، ثم تطوّر واتخذ طابعًا منهجيًا واضحًا مع بداية الهجوم على مسقط، ومرد ذلك أن مدينة مسقط الساحلية تتمتع بموقع جغرافي مهم، وقد اتخذه البرتغاليون قاعدتهم البديلة بعد الهجوم الذي شنه الفرس بمساعدة الإنجليز في 1622م على هرمز ونجاحهم في طردهم منها، وغدت مسقط القاعدة البرتغالية الأولى في منطقة الخليج، فقاموا من فورهم بتزويدها باستحكامات عسكرية، تمثلت في ترميم قلاعها الساحلية، وبناء أبراج على مداخلها تحسباً لأي هجوم خارجي[1].

وأمام هذه المعطيات أدركت القيادة اليعربية الحاجة إلى أسلوب الحصار، الذي أتاح لها تحقيق أهدافها العسكرية بأسلوب استنزافي طويل النفس، يقلل من المواجهات المباشرة والخسائر البشرية في صفوف العمانيين، ويُنهك العدو تدريجيًا حتى الاستسلام أو الانسحاب، من أجل ذلك توسع العمانيون في استخدام أسلوب الحصار، وكانت البداية بمسقط قاعدة البرتغاليين، ففي الحملة الأولى التي قادها الشيخ مسعود بن رمضان فرض العمانيون حصاراً شديداً على المدينة، وفي جلفار حاصر العمانيون القلعة البرتغالية التي تحصنوا بها تحت قيادة علي بن أحمد، وقام الشيخ خميس بن سعيد بمحاصرة مسقط للمرة الثانية، وذلك رداً على الهجوم الذي يشنه البرتغاليون في صحار[2].

وقد أسفر الحصار في كثير من الحالات عن سقوط القلاع البرتغالية دون اقتحام مباشر، حيث اضطر المحاصرون إلى التسليم بشروط فرضتها المقاومة، وهو ما مكّن العمانيين من استعادة الموانئ والحصون بأقل قدر من الدمار، والحفاظ على البنية العمرانية والعسكرية، ومن جانب آخر فإن البرتغاليين شعروا بالإنهاك والعجز، وتفككت الروح المعنوية، ما ولّد حالة من التذمر داخل الحاميات، وانعكس ذلك بوضوح على أوضاعهم العسكرية والاقتصادية.

القاهرة1345هـ.1927م. ص 350-352، شلبي. أحمد. موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية352، النهضة المصرية. القاهرة. الطبعة الرابعة 1983 م. ص 667.

[1] مايلز. الخليج بلدانه وقبائله. ص156-160،

[2] السالمي. تحفة الأعيان. ج2 ص10-11، السيار. عائشة علي. دولة اليعاربة في عمان وشرقي أفريقيا في الفترة من 1624 – 1741م. الطبعة الثانية. ص70-71، ابن قيصر. سيرة الإمام ناصر بن مرشد. ص45-50.

كما أيقنوا أن قلاعهم التي كانت تمثل رمز القوة والسيطرة، تحوّلت إلى أماكن معزولة تفتقر إلى الإمداد والحماية، فتراجعت الثقة بالقدرة على الصمود، وبرز الشعور بالخوف من السقوط الحتمي أمام استمرار الحصار، وهو ما دعاهم إلى طلب عقد اتفاقية سلام شامل مع العمانيين، وذلك في الاجتماع الذي عقد بتاريخ 30 أكتوبر 1648م، وبعد التشاور بين القيادتين، توصلت الأطراف إلى توقيع معاهدة سلام، وقد وقع الاتفاقية عن الجانب العماني سلطان بن سيف بن مالك وعن الجانب البرتغالي القائد العام دوم جونيوا نورونها[1].

وبهذا يتضح أن شدة الحصار على المراكز الساحلية لم تُنهك القدرات العسكرية البرتغالية فحسب، بل كسرت إرادتهم القتالية، ودفعتهم من موقع الهجوم والسيطرة إلى الدفاع والاستجداء، مما يبرز الحصار بوصفه سلاحًا نفسيًا واستراتيجيًا بالغ التأثير في مسار المقاومة العُمانية.

لم يقتصر الحصار في التجربة اليعربية على تطويق القلاع والمراكز البرتغالية داخل عُمان، بل امتد إلى البحر بوصفه فضاء الصراع الحقيقي مع البرتغاليين، فبعد بناء الأسطول العُماني وتكوّن خبرة بحرية متقدمة، وظّف اليعاربة الحصار البحري لقطع خطوط الاتصال والإمداد البرتغالية بين المراكز الساحلية وقواعدهم في الهند وشرق أفريقيا، فقد فرضت البحرية العمانية حصاراً قوياً على ممباسة قاعدة البرتغاليين في إفريقيا الشرقية استغرق خمسة أعوام، بين سنة (1658 – 1663م)، في عهد الإمام سلطان بن سيف بن مالك اليعربي (1649-1679م)[2]، وفي عهد الإمام سيف بن سلطان (1104 – 1123هـ) الملقب بقيد الأرض فرض العمانيون حصاراً على ممباسة للمرة الثانية على إثر عودة البرتغاليين، دام سنتين بين (1696 – 1698 م)، تمكنوا خلالها من انتزاع المدينة[3].

وهكذا فإن انتقال الحصار من البر إلى البحر يعكس نضج التجربة العسكرية اليعربية، ويؤكد أن نجاح المقاومة لم يكن نتيجة مواجهة محلية فحسب، بل ثمرة سيطرة واعية على المجالين البري والبحري، وهو ما عجّل بانهيار الوجود البرتغالي في عُمان ومحيطها البحري.

ثالثاً: تطور الأسلحة واستخدام المدافع.

لقد اعتمد اليعاربة في اللقاءات الأوّلى مع البرتغاليين على أسلحة تقليدية محدودة التطور، انسجمت مع واقعهم العسكري في بدايات مشروع الإمامة، قبل اكتمال بناء القوة النظامية والبحرية، حيث استخدموا السيوف العُمانية، وكانت الأداة الرئيسة في الاشتباك المباشر، كما استخدموا الرماح والحراب في الهجوم والدفاع وحراسة مواقع التماس، والخناجر كسلاح فردي ملازم للمقاتل، بالإضافة إلى الدروع والتروس، للحماية في القتال القريب، ويرجع ذلك إلى أن بدايات المقاومة جاءت في وقت لم تكن فيه الدولة اليعربية قد استقرت بعد، وكانت الإمكانات المالية والتنظيمية محدودة، مما جعل الاعتماد على الأسلحة التقليدية المتوافرة محليًا الخيار الواقعي الوحيد.

[1] مايلز. الخليج بلدانه وقبائله. ص160-161، الأغبري. عمان في عهد اليعاربة. ص91

[2] شلبي. موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية. ج6. ص667. علي. عبدا لله أحمد. الصراع العماني البرتغالي في شرق أفريقيا (1650 – 1730م). جامعة فهد للبحوث والدراسات الأفريقية. قسم التاريخ. ص51.

[3] السالمي. تحفة الأعيان. ج2. ص106-108، مايلز. الخليج بلدانه وقبائله. ص176-178، سلوت. عرب الخليج. ص220-224

ظلّ الاعتماد على الأسلحة التقليدية قائمًا طيلة عهد الإمام ناصر بن مرشد، وبداية عهد الإمام سلطان بن سيف اليعربي، والشاهد على ذلك ما تشير إليه المصادر العمانية، من أن الإمام سلطان بن سيف اليعربي استخدم السلاح التقليدي في معركة تحرير مسقط (1060هـ/1650م)، التي قادها بنفسه[1]، وهي المعركة التي أعلن فيها العمانيون الجلاء التام للوجود البرتغالي في عمان، ما يعني أن السلاح التقليدي كان حاضرًا في معركة تحرير مسقط بوصفه أداة قتال أساسية في الالتحام البري، وأسهم مع غيره من العوامل في تحقيق أحد أهم الانتصارات في تاريخ المقاومة العُمانية.

وبعد الإجلاء النهائي للبرتغاليين من عمان، اتخذ الإمام سلطان قراراً جريئاً تمثل في ملاحقة فلول البرتغاليين في البحار الشرقية، وقد فرض عليه هذا المشروع القيام بإدخال جملة من الإجراءات العملية والتنظيمية لرفع كفاءة التسليح العُماني، لإدراكه أن استخدام الأسلحة التقليدية في المعارك القادمة لن تجدي نفعاً أمام الترسانة العسكرية البرتغالية، وقد استفاد من الخبرة القتالية المتراكمة لدى العمانيين، ومن الاحتكاك المباشر بالبرتغاليين في البر والبحر، ما أتاح معرفة أنواع الأسلحة المستخدمة، وطرائق تشغيلها، ونقاط قوتها وضعفها، ثم العمل على تحسين ما يتوافر محليًا أو تعويض النقص.

كما استفاد الإمام من الغنائم التي تحصل عليه العمانيون خلال معركة تحرير مسقط، لا سيما بعد سقوط القلاع والمواقع البرتغالية، إذ شملت الغنائم مدافع وبنادق وذخائر استخدمها البرتغاليون في مواجهة الهجوم العماني على قلعتي الميراني والجلالي خلال معركة التحرير[2]، وقد أُعيد توظيف هذه الأسلحة في تقوية الجيشين البري والبحري، كما أسهمت في تدريب المقاتلين على الأسلحة النارية المتقدمة، وبذلك تحولت الغنائم من مكاسب آنية إلى مورد استراتيجي دائم، عزّز كفاءة المقاومة ورفع قدرتها على الاستمرار وتحقيق أهداف التحرير.

وكان من نتائج ذلك ان امتلك العمانيون الأسلحة النارية، فقد استخدموا البنادق في القتال البحري والاشتباك القريب، خاصة عند الاقتراب من سفن العدو أو أثناء الصعود إليها، ونجحوا في تطويرها وتحسين أدائها، كما كان العُمانيون على دراية بصناعة الذخيرة، ومنها صبّ كرات الرصاص المستخدمة في البنادق والمدافع الخفيفة، وأسهمت هذه المعرفة في ضمان توافر الذخيرة أثناء الحصار وعلى امتداد الحملات العسكرية، واستخدامه المستمر في كل المواقع، بدليل ما ذكره المؤرخ اليمني ابن الوزير أن الإمام سلطان بن سيف بعث إلى اليمن بسفن محملة بالرصاص، وذلك لتمكين أهالي اليمن من تحرير ميناء المخا من الحصار البرتغالي[3].

كما استخدم العمانيون المدافع في حصار القلاع البرتغالية وقصف أسوارها وأبراجها، وهو ما أسهم في إضعاف تحصيناتها وتسريع سقوطها، كما وُضعت المدافع في المواقع المرتفعة وحول الموانئ لتعزيز الدفاع والسيطرة، إلى جانب ذلك فقد زُوِّدت بها السفن العُمانية، واستُخدمت في الاشتباكات البحرية وقصف السفن

[1] السالمي. تحفة الأعيان. مرجع سابق. ج2. ص71.
[2] السالمي. تحفة الأعيان. مرجع سابق. ج2. ص71.
[3] ابن الوزير. عبد الله بن علي. تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى. المعروف بتاريخ اليمن خلال القرن 11هـ.تحقيق محمد عبد الرحيم جازم. الجيل الجديد. صنعاء. الطبعة الثانية1428هـ.2007م. ص232-276،

المعادية والقلاع الساحلية، وربط العُمانيون استخدامها بالمناورة والحصار البحري وقطع الإمدادات ورد الهجمات البرتغالية.

وقد مرت صناعة المدافع العُمانية بمرحلة تطوير مهمة خلال زمن اليعاربة، وذلك ضمن جهود تحسين القدرات القتالية لمواجهة البرتغاليين، إذ ساعدت الغنائم على توفير أعداد كبيرة من المدافع، ثم تقوم ورش الحدادين المحليين على صيانة المدافع وتصنيع بعض قطعها، ما جعلها متوفرة بشكل مستمر ومتكيفة مع ظروف المعارك المختلفة، ومع توسع الحروب في البحار تتزايد أعداد المدافع، إلى درجة وجود عدد كبير على متن السفن الحربية لتبلغ أحياناً إلى 80 مدفعاً بالنسبة للسفن الكبيرة، وتتفاوت بقية السفن بين 20 الى 80 مدفعاً، بالإضافة الى الزوارق التي تحمل بين 4 الى 8 مدافع[1].

رابعاً: صناعة السفن

عرف العُمانيون صناعة السفن منذ عهود مبكرة، فأنتجوا منها أنواعًا متعددة، منها الكبيرة مثل الغنجة والبغلة والسنبوق، المخصّصة للرحلات البعيدة والتجارة، ومنها الصغيرة السريعة كالشذاة والزاروق للاستطلاع والصيد والتنقل، وكانت بعض السفن مجهزة للحروب، ويتم تسليحها، وكانت تحمل المقاتلين والأسلحة، وتُستخدم في الحصار البحري ونقل القوات في فترات الصراع.

وبالرغم من الخبرة التي اكتسبها العمانيون في صناعة السفن على امتداد الفترات التاريخية، بيد أنها تظل صناعة محلية داخلية، تعتمد على الأنماط التقليدية السائدة في المنطقة، ولم تكن قادرة على منافسة نظيراتها البرتغالية المعتمدة على تقنيات حديثة، والمزودة بمدافع ثقيلة، وقد شاهد العمانيون الفوارق الشاسعة حينما استخدمت السفن البرتغالية بوحشية مفرطة في الهجوم على السواحل العمانية التي اعتمدت فيها على المدافع لقصف المدن، كما حدث في قريات ومسقط من قصف وتدمير قام به البو كيرك قائد الأسطول البرتغالي[2].

وأمام الانتصارات التي يحققها الأسطول البرتغالي أدرك الإمام سلطان بن سيف اليعربي أن هذا التفوق يعتمد أساساً على امتلاك البرتغاليين سفنًا كبيرة ومتينة، صُممت للإبحار في المحيطات المفتوحة، وقادرة على حمل أعداد كبيرة من المدافع، مما منحهم قوة نارية حسمت المعارك في المراحل الأولى، وأيقن أن مفتاح النصر على البرتغاليين يبدأ من العمل على تطوير السفن العُمانية وتسليحها، فتبنّى رؤية استراتيجية شاملة، قوامها تحييد التفوق البحري البرتغالي وبنـاء قوة بحرية عُمانية قادرة على المواجهة.

باشر الإمام بعد معركة تحرير مسقط في الاهتمام ببناء الأسطول، مستفيداً من الخبرات المحلية، ومن غنائم الحرب من خلال نجاح العمانيين في الاستيلاء على سفينتين حربيتين برتغاليتين ترسيان قبالة ساحل مسقط إبان الهجوم العماني على مسقط ومطرح[3]، كما أتاحت المواجهات البحرية، واحتلال القلاع والموانئ،

[1] مايلز. الخليج بلدانه وقبائله. ص179. المعولي. قصص وأخبار جرت في عمان. ص246.
[2] ويلسون. لفتنانت كولونيل سيراتولدت. تاريخ الخليج. ترجمة محمد أمين عبد الله. وزارة التراث القومي والثقافة نقتصر طينة عمان. الطبعة الرابعة 1437هـ - 2016م. ص 74 -76، مايلز. الخليج بلدانه وقبائله. ص129-131.
[3] بادجر. جورج بيري. مقدمة كتاب تاريخ أئمة وسادة عمان – ترجمة محمد على الداود – وزارة التراث والثقافة – سلطنة عمان – مسقط – الطبعة الأولى 1426هـ/2006م – ص35.

فرصة الاطلاع المباشر على السفن البرتغالية من حيث البناء، والتسليح، وتنظيم المساحات الداخلية، كما استفادوا من النمط البرتغالي في توزيع المدافع على الجوانب وهو ما وفّر معرفة تطبيقية عملية، وقد استوعب العمانيون تقنيات صناعة السفن البرتغالية، فأنتجوا أسطولاً بحريا متطوراً يجمع بين الأسلوب المحلي التقليدي والنمط الغربي الحديث، أسهم في بناء أسطول عُماني قادر على مجابهة البرتغاليين ثم التفوق عليهم في مراحل لاحقة.

لم تتوقف عمليات تطوير الأسطول العُماني لأن القيادة اليعربية أدركت أن الصراع البحري صراع متحوّل لا يُحسم بمرحلة واحدة من البناء، بل يحتاج إلى تحديث مستمر لمواكبة حركة التطور حتى لا يفقد الأسطول فعاليته، لا سيما وأن الخطر البرتغالي لم ينته بطرده من عمان، بل ظل محتفظاً بالعديد من القواعد المنشرة في البحار، كما ظهرت قوى بحرية أوروبية أخرى منافسة، مما فرض المحافظة على أسطول قادر على الردع والمواجهة، فقد قام الإمام سيف بن سلطان بتحديث الأسطول وزيادة عدد القطع فيه عقب انتزاع ممباسة من البرتغاليين في المرة الثانية، حيث أدرك أن التهديد لا يزال قائماً، فبلغ الأسطول في عهده 24بين إلى 28 سفينة، خمسة منها كبيرة هي الملك والفلك والرحماني وكعب رأس والناصري، بالإضافة الى العديد من الزوارق، وجميعها مزودة بمدافع تتراوح بين 8 إلى 80 مدفعاً[1].

ونتيجةً لتفوّق الأسطول العُماني، فقد تمكن من إلحاق سلسلة من الهزائم المتتابعة على البرتغاليين، منيت فيها بخسائر في الأرواح والسفن نتيجة الاشتباكات المباشرة والغارات البحرية العُمانية، وفقدت تفوقها العسكري، إذ لم يعد البرتغاليون يتمتعون بحرية الحركة في السواحل العُمانية وبحر عُمان كما كان سابقا، بعد أن أصبح الأسطول العُماني قادرًا على مطاردتهم ومواجهتهم، وبدأ نفوذهم في التراجع بعد أن امتد الهجوم العماني إلى كافة قواعدهم في الهند وإفريقيا الشرقية، وقد اعترف البرتغاليون أنفسهم بتأثير الهجمات العمانية على مراكزهم العسكرية، فيذكر جيان : أنَّ الرحالة البرتغالي (القس مانويل جودنهو) دوّن في رحلته من الهند إلى البرتغال ماراً بالخليج الفارسي أن الأسطول العماني نشر هيمنته على المدن الساحلية في افريقيا الشرقية وسواحل الهند ، بل ونجح في مواجهة البحرية البرتغالية وتكبيده خسائر فادحة[2].

كما نقل الزركلي عن رحالة برتغالي قام برحلة في المحيط الهندي قوله : " لم يكتف سلطان بن سيف بإجلائنا عن بلاده، بل اجترى على اقتفاء أثرنا حتى بالبلاد التابعة لنا، إذ حاصر ممباسة وأزعجنا في مومباي، وأسرت سفنه سفن برتغالية كثيرة "[3].

هكذا مثّل بناءُ القوّة العسكريّة عاملًا حاسمًا في مشروع المقاومة؛ إذ لم يقتصر على ردّ الفعل المتسرع، بل قام على إعدادٍ منظّم وطويل المدى شمل تعبئة القبائل، وتطوير القوتين البرّية والبحريّة، بما يتلاءم مع طبيعة العدوّ وأدواته، وقد مكّن هذا البناء من نقل الصراع من الدفاع إلى الهجوم، ونجح في فرض الحصار، وكسر التفوّق البرتغالي، ما ساعده على تحقيق إنجازات عسكريّة متراكمة انتهت بتحرير الموانئ والسواحل.،

[1] مايلز. الخليج بلدانه وقبائله. ص179. المعولي. قصص وأخبار جرت في عمان. ص246.
[2] جيان. مرجع سابق. ص 350. 352.
[3] الزركلي. خير الدين. الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان. الطبعة السابعة. 1986م. ج3 ص.109

وبذلك تحوّلت القوّة العسكريّة إلى أداةٍ استراتيجية داعمة للمشروع السياسي والديني للمقاومة العمانية في عهد الدولة اليعربية.

كانت هذه أهم العوامل التي ساعدت المقاومة العُمانية زمن اليعاربة في مواجهة البرتغاليين؛ إذ أسهم توحيد الجبهة الداخلية تحت راية الإمامة في إنهاء الانقسامات القبلية وتعبئة المجتمع للجهاد، كما كان لـ الدور القيادي للعلماء أثر بالغ في شرعنة المقاومة وحشد الناس فكريًا وعمليًا، وأسهم التطور العسكري، ولا سيما بناء أسطول بحري قوي وتطوير الأسلحة واستخدام المدافع والحصار، في تحقيق التفوق الميداني. كما شكّل التخطيط العسكري المحكم والتدرج في التحرير، إلى جانب الاستفادة من الغنائم والخبرات الأجنبية، عنصرًا داعمًا لتعزيز القوة العسكرية، ويُضاف إلى ذلك المعرفة العُمانية بالبيئة البحرية والساحلية، وتلاحم القبائل، والروح الجهادية التي بثها الخطاب الديني والأدبي، مما مكّن العمانيين من إلحاق الهزائم بالبرتغاليين واستعادة السيادة على الموانئ العُمانية.

الخاتمة:

في ضوء ما ورد في البحث من عرض وتحليل، انتهى البحث إلى مجموعة من النتائج الرئيسة، يمكن تلخيصها فيما يأتي:

- شكّلت الوحدة الداخلية التي تحققت في عهد اليعاربة أساسًا متينًا لنجاح المقاومة، إذ أسهمت في إنهاء مظاهر التفرّق وتوجيه جهود العُمانيين نحو مواجهة الأخطار الخارجية، مما مكنهم من مواجهة البرتغاليين.
- أسهم العلماء العُمانيون بدور محوري في نجاح المقاومة ضد البرتغاليين من خلال توحيد الصفوف، وترسيخ الوعي الديني والوطني، ودعم مشروع الدولة اليعربية الرامي إلى التخلص من الوجود البرتغالي على السواحل العمانية.
- أولت دولة اليعاربة اهتمامًا كبيرًا ببناء قوة عسكرية منظمة، ولا سيما القوة البحرية، إدراكًا منهم لأهمية البحر في الصراع مع البرتغاليين، مما مكّنهم من بسط نفوذهم البحري، وتأمين طرق التجارة.
- أسهم التكامل بين القيادة السياسية والعسكرية والعلماء وأفراد المجتمع في تعزيز فعالية المقاومة وتحقيق أهدافها.
- نجحت المقاومة العُمانية في تحرير السواحل والموانئ العُمانية من الوجود البرتغالي، واستعادة السيادة الوطنية على البلاد.
- امتدت آثار نجاح المقاومة إلى خارج عُمان، حيث تمكن اليعاربة من ملاحقة فلول البرتغاليين في مناطق نفوذهم بشرقي أفريقيا ومدن المحيط الهندي وتقليص وجودهم على امتداد السواحل التي أنشأوا بها قواعدهم العسكرية.
- مثّل نجاح المقاومة العُمانية نموذجًا بارزًا لقدرة المجتمع العُماني على توظيف إمكاناته البشرية والعسكرية، واتخاذ جملة من الإجراءات والسياسات في سبيل القضاء على الوجود البرتغالي في عُمان، ومواجهة التحديات الخارجية والحفاظ على استقلاله وسيادته.

التوصيات:

يوصي الباحث بمجموعة توصيات لخدمة التراث العماني منها:

- تشجيع الدراسات المتخصصة في تاريخ المقاومة العُمانية وإبراز أبعادها السياسية والعسكرية والحضارية.
- دعم البحوث المقارنة بين التجربة العُمانية وتجارب المقاومة الأخرى في المنطقة لإبراز خصوصيتها التاريخية.
- تعزيز حضور تاريخ المقاومة العُمانية في المناهج التعليمية والبرامج الثقافية

المصادر والمراجع:

ابن الوزير. عبد الله بن علي. تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى. المعروف بتاريخ اليمن خلال القرن 11هـ.تحقيق محمد عبد الرحيم جازم. الجيل الجديد. صنعاء. الطبعة الثانية1428هـ.2007م.

ابن خلدون. عبد الرحمن بن محمد التونسي.. تاريخ ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. بيت الأفكار الدولية.

ابن قيصر. عبد الله بن خلفان الصحاري. سيرة الإمام ناصر بن مرشد. تحقيق عبد المجيد القيسي. وزارة التراث والثقافة. سلطنة عمان. الطبعة الثالثة 1438هـ/2017م.

ابن مداد. عبد الله بن مداد. سيرة ابن مداد. وزارة التراث القومي والثقافة. عمان. 1984م. العدد 56.

الإزكوي. سرحان بن سعيد. كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة. تحقيق محمد حبيب ومحمود السليمي. وزارة التراث والثقافة. سلطنة عمان. الطبعة الثانية 1434هـ/2013م.

الأغبري. إبراهيم بن يوسف بن سيف. عمان في عهد اليعاربة. الراية. القاهرة. الطبعة الأولى2017م.

بادجر. جورج بيري. مقدمة كتاب تاريخ أئمة وسادة عمان – ترجمة محمد على الداود – وزارة التراث والثقافة – سلطنة عمان – مسقط – الطبعة الأولى 1426هـ/2006م.

البطاشي. سيف بن حمود بن حامد. إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان. رتبه وعلق عليه سعيد الهاشمي. مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشئون الدينية والتاريخية. الطبعة الأولى 1422هـ/2001م.

البطاشي. سيف بن حمود بن حامد. إيقاظ الوسنان في شعر وترجمة الشيخ خلف بن سنان. مسقط. سلطنة عمان. الطبعة الأولى 1415هـ/1995م.

جيان. مسيو. وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن افريقيا الشرقية. كتبها عام1856 م ونقلها إلى العربية ملخصة يوسف كمال. القاهرة1345هـ -1927م.

الحارثي. سالم بن حمد بن سليمان. العقود الفضية في أصول الاباضية. 1403 هـ - 1983 م.

الزركلي. خير الدين. الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. دار العلم للملابين. بيروت. لبنان. الطبعة السابعة. 1986م.

السالمي. عبد الله بن حميد. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. مكتبة الاستقامة. سلطنة عمان 1417هـ ـ 1997م.

السالمي. نور الدين عبد الله بن حميد السالمي. اللمعة المرضية من أشعة الإباضية. اعتنى به سلطان الشيباني. ذاكرة عمان. مكتبة مسقط. الطبعة الأولى1435هـ/2014م.

السيابي. سالم بن حمود. عمان عبر التاريخ. وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان. الطبعة الثانية. 1407 هـ - 1986 م

السيابي. سالم بن حمود بن شامس. عمان عبر التاريخ. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان. الطبعة الخامسة 1421هـ/2001م. 11.

السيار. عائشة علي. دولة اليعاربة في عمان وشرقي أفريقيا في الفترة من 1624 – 1741م. الطبعة الثانية.

الشقصي. خميس بن سعيد بن علي بن مسعود الرستاقي. منهج الطالبين وبلاغ الراغبين. تحقيق سالم بن حمد الحارثي. وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان. 1401هـ.

شلبي. أحمد. موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة. الطبعة الرابعة 1983م.

علي. عبد الله أحمد. الصراع العماني البرتغالي في شرق أفريقيا (1650 – 1730م). جامعة فهد للبحوث والدراسات الأفريقية. قسم التاريخ.

مايلز. س. ب. الخليج بلدانه وقبائله. ترجمة محمد أمين عبد الله. الطبعة الثانية 1437هـ - 2016م.

المعولي. محمد بن عامر بن راشد الأفوي. قصص وأخبار جرت في عمان. دراسة وتحقيق سعيد الهاشمي. وزارة التراث والثقافة. سلطنة عمان. الطبعة الثانية 1435هـ/2014م.

المغيري. سعيد بن علي. جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان. الطبعة الثانية 1416هـ - 1986م.

مؤلف مجهول. تاريخ أهل عمان. تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان. 1400هـ/1980م.

النزوي. عبدا لله بن محمد بن عامر بن محمد بن خنبش الخراسيني. فواكه العلوم في طاعة الحي القيوم. تحقيق وتعليق محمد بن صالح، مهني التيواجني. مسقط. سلطنة عمان. الطبعة الأولى 1415هـ/1994م.

الهاشمي. سعيد بن محمد بن سعيد. دراسات في التاريخ العماني. دار الفرقد. دمشق. النادي الثقافي - مسقط. الطبعة الثانية 1434هـ - 2013م.

ويلسون. لفتنانت كولونيل سيراتولدت. تاريخ الخليج. ترجمة محمد أمين عبد الله. وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان. الطبعة الرابعة 1437هـ - 2016م.